الذي سرق نجمة

مجموعة قصصيّة

الطبعة الأولى
٢٠١٦
جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

المؤلف ومن هو في حكمه	: سناء كامل شعلان
عنوان الكتاب	: الذي سرق نجمة
بيانات الناشر	: أمواج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن
عدد صفحات الكتاب	: ١٦٢
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية	: (٢٠١٣/١٠/٣٧٦٣)
الرقم المعياري الدولي (ISBN)	: ٩٧٨-٩٩٥٧-٥٤٥-٠٤-٨
الواصفات	: / القصص العربية/ / العصر الحديث

• يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
• تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

جميع حقوق الملكية الأدبية محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة المؤلفة.

▪ تصميم الغلاف: اسمى جرادات
▪ الإخراج الفني والتنضيد: اسمى جرادات/ عمان ٠٧٨٥٧٤٦٧١٧
البريد الالكتروني ga_asma@yahoo.com

أمـــواج للطبـــاعة والنشر والتوزيـــع
المملكـــة الأردنيـــة الهاشميـــة ـ عمـــان
تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١/٠٠٩٦٢٦٤٨٨٩٦٥١

amwajpub@yahoo.com
www.amwaj-pub.com

مجموعة قصصية

الذي سرق نجمة

د.سناء شعلان

الطبعة الأولى

٢٠١٦

إهداء

إلى نجمتي الطّاهرة التي تضيء
حياتي،وتهديني إلى الدّرب...
إلى أمّي...

الفِهْرست

رقم القصّة	عنوان القصّة	الصفحة
١.	الذي سرق نجمة	٩
٢.	منامات السّهاد.....	١٥
٣.	حيثُ البحر لا يصلّي.....	٢١
٤.	الضّياع في عيني رجل الجبل.....	٣٣
٥.	الاستغوار في الجحيم	٥٩
٦.	جريمة كتابة.....	٦٩
٧.	راقصة الطّاغية	٨١
٨.	أبو دوح.....	٨٩
٩.	سحر وداد	٩٥
١٠.	تقاسيم.....	١٠١
١١.	غالية سيّدة الحكايا	١١١
١٢.	العيون التي ترى.....	١١٩
١٣.	حدث في مكان ما	١٢٩
١٤.	يوميّات إنسان مهزوم.....	١٣٣

الذي سرق نجمة

كلّ شيء في حياته صغير ومحدود ومتواضع،ولكنّه على الرّغم من ذلك مولع حدّ التّخليط والمغالاة والكذب بأن يصوّر كلّ شيء على أنّه كبير وعظيم ولا حدود له،ناسياً أو متناسياً حقيقة حياته وظروفه ومعطياته،كثيراً ما يلومه النّاس على هذا العيب الملازم له،وما أكثر ما ورّطه في مشاكل وأزمات وتعقيدات،ولكنّه لم يبالِ بهذا كلّه ما دام هذا العيب يورثه رضا عارماً يشبه الشّعور بالشّبع الكامل من ابتلاع حبّة أرز لا أكثر،هو شعور غريب،ولكنّه ممتع ولذيذ ومُسعد.

من حسن حظّه أنّ المرأة التي يعشقها تتعاطى بقبول ورضا مع عيبه الخطير،وهو المبالغة حدّ الكذب،فضلاً عن قبولها بجسده النّحيل الصّغير المتشكّل بلا عناية كبيرة،حتى ليوحي منظره بأنّه قد خُلق من بقايا لحم مقّدد كان من المتوقّع أن يُخلق منه قط صغير،لا إنسان بشريّ كامل،هذا إلى جانب تجاهلها لقضية نسبه الوضيع الممزّق بين أب مشكوك في نسبه وأمّ تجاهل نسبها خير من تذكّره.امرأته النّادرة تقبل به بعلّاته جميعها، وتفتخر بحبّها له،وتتباهي في كلّ مكان بأنّه أفضل إسكافيّ في المعمورة قاطبة،وتتيه فخراً على النّساء بأنّ رجلها الإسكافيّ الكذّاب يعشقها حدّ العبادة،وهي تعلم علم اليقين أنّ هذه المعلومة هي المعلومة الوحيدة التي يردّدها الرّجل الذي تحبّه بعيداً عن موهبته الدّاء بالمبالغة والكذب،فهو متيّم بها كما يكون التّتيّم الحقّ الذي يملك على صاحبه جوارحه وإحساسه وتفكيره.

لذلك هو يغضّ الطّرف عن نمش وجهها،وحول عينها اليسرى التي تتجه بانحراف وئيد نحو أرنبة أنفها،ويغضّ الطّرف كذلك عن ثرثرتها التي لا تعرف حدّاً أو ضبطاً أو ذوقاً أو كياسة،ويصفها بالمتحدّثة البليغة،في حين يصفها كلّ من يعرفها بالثّرثارة مفشية الأسرار،ولا ينفك يأتمنها على أسراره فتفشيها،وتوقعه في المزيد من المتاعب،ولا يزال يبالغ ويكذب،وتصدّقه،وتأخذ كلامه على محمل الجدّ،وتنقله إلى كلّ من تعرف وتصادف وتقابل بداعٍ وبغير داع،فتزيد الطّين بلّة،وتدفعه مرّة تلو أخرى إلى إرباكات تتلوها إرباكات أُخر،ثم هولا يتوب عن البوح لها بمبالغاته وأكاذيبه،وهي لا تتوب عن الثّرثرة؛فهما متصالحان مع بعضهما على الرّغم من عيوبهما،سعيدان بحاليهما الذي لا يريان فيه ما يفوق طاقتيهما،أو يعكر صفو حياتهما،أو يستدعيهما إلى خطة عاجلة لتغيير عادتيهما القاتلتين.

وما قال لها في يوم أحبّك إلاّ كان صادقاً معها وهو يعني الكلمة التي يقولها بكلّ صدق على خلاف عادته في الكذب الزّعاف،وما سمعت كلمته هذه إلاّ أشاعتها في كلّ ناحية شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً في الأجواء المكانيّة والزّمانيّة كلّها مرهونة بتفاصيل سرد هذه الكلمة،متناسيّة أنّها أشاعت هذا الخبر عشرات المرّات على الملأ،حتى ما عاد أحد إلاّ ويعلم بحبّه لها،وبحبّها له.

لكنّه في هذه اللّيلة المقمرة المرصّعة بالنّجمات كان مولّهاً بها بشكل خارق للمعهود،لقد صنع لها حذاء جلديّاً متقن الصّنع،وكأنّ

عفريتاً سرقه من قصور الجان،كذلك أحضر لها طاقة أنيقة من ورود الأقحوان التي تفضّلها على الورود جميعها،وبات يغمرها بوافر كلمات العشق والاشتهاء والتودّد،ويشمّها كيفما اتّفق،ويترصّد كلّ حركة تقوم بها بجوع لأدق تفاصيلها وحركاتها وكلماتها،ثم جذبها إليه لتصبّ في حضنه،وقال لها:" أتعرفين يا جميلتي،لقد قمتُ لأجلك بمغامرة جريئة غير مسبوقة في تاريخ الإنس أو الجان؛ لقد سرقت نجمة من السّماء،وخبّأتها في مغارة في الجبل لأقدّمها هدية لك في ليلة عرسنا! انظري هناك في السّماء".

–" أين؟" سألته وهي تجول بعينيها في قبّة السّماء المنيرة الفضفاضة.

–"هناك" .وأشار إلى أقصى يمين نظرها حيث تنحصر النّجوم بشكل واضح عن مكان صغير في عباءة السّماء المطرّزة النّجوم اللآلئ،ثم قال لها:" في ذلك الفراغ كانت تقطن تلك النّجمة التي سرقتها لأجلك،كانت الأكبر والأجمل،ولذلك اخترتها لكِ دون غيرها،كان أمر انتزاعها من مكانها أمراً ليس بالهيّن أو السّريع،ولكنّني تكبّدت ذلك العناء كلّه وحدي لأجل أن أهبك هديّة عرس تليق بك،وتكون استثناءً تفخرين به إلى أبد الآبدين،وتورّثينه إلى يوم الدّين لسلالة أبنائنا المنتظرين".

_ " أريد أن أراها اللّيلة".قالت حبيبته بفرح غامرورجاء باد.

- "هذا مستحيل الآن.لن تريها إلاّ ليلة عرسكِ،من الشّؤم أن ترى العروس هدية زفافها قبل ليلة انكشافها على عريسها".قال بثقة وصرامة لا تليق بكذبه المكشوف.

نظر في عينيها،فرأى فيهما فرحاً وفخراً أحول يميل بوضوح إلى أرنبة أنفها،امتلأ صدره بالزّهو؛لأنّه سرق نجمة من السّماء،وسيهديها للمرأة التي يحبّها في ليلة عرسهما،وكاد يصدّق أنّ النّجمة تقبع هناك في الجبال دفينة مخبّأة في مغارة يعرف وحده الدّرب إليها،أمّا هي فصدّقت الأمر تماماً،وأقنعت نفسها بأنّ هديّته النّجمة في انتظارها،وألفت نفسها تعدّ اللّحظات كي يأتي الصّباح،وتشيع الخبر في كلّ مكان،جازمة بأنّ هذا الخبر هو الأهم فيما نشرت وأذاعت طوال عمرها،فهي أوّل امرأة في التّاريخ يهديها حبيبها المغامر الشّجاع الفارس نجمة مسروقة من السّماء!

بطيئاً جاء الصّباح،ولكنّها سريعاً ما أشاعت خبر نجمتها الهديّة المسروقة من السّماء،طرافة هذه الكذبة وطريقة سردها الشّائقة التي قدّمتها بها لمحبّي ثرثرتها جعلت الكذبة تغدو طرفة المدينة لأيام طويلة،تناقلها الكثيرون في أجواء من السّخرية والضّحك والاستخفاف،ولكنّه ظلّ فخوراً بهذه السّرقة المزعومة،وهي ظلّت متباهية بنزق بهذه الهديّة النّادرة الخرافيّة.

أمّا عينا كبير الجند فكانتا ترصدان ردود أفعال النّاس تجاه هذه الكذبة العجيبة،وتنقلان لسيّدها أصداءها في كلّ مكان بعد أن أبدى

النّاس اهتماماً غير مبرّر بكذبة سخيفة ممجوجة مثل هذه الكذبة الواضحة الافتراء.وفي غضون أيام قليلة كانت هذه الكذبة العارية من الصّحة المستحيلة الحدوث مبسوطة باستفاضة أمام السّلطان في تقرير سرّيّ مرصود لفضح رموز الفساد في البلاد،وتجريمهم ومحاكمتهم،وردّ كلّ ما اختلسوه إلى خزينة الأمّة.

اشتمل التّقرير على اسم سارق واحد متّهم،وهو الإسكافيّ الكذّاب،وأشار إلى أنّه قد اختلس أخطر كنز وطنيّ،وهو نجمة في سماء السّلطنة،وهو مطالب بردّها إلى خزينة الشّعب لاسيما أنّه معترف بجريمته النّكراء التي عليها شهود عدول على رأسهم حبيبته الخطيبة،في حين خلا التّقرير من اسم اللّص الأعظم في البلاد،وهو السّلطان؛فمن يستطيع أن يومئ له بفساده مغامراً بدحرجة رأسه عن كتفيه؟! كذلك خلا من أسماء أيّ من الوزراء والمسؤولين والنّبلاء والشّرفاء والمتنفّذين وكبار رجال الدّولة والجيش والسّياسة والأحزاب وحيتان التّجارة وسدنة المال والمصارف والإعلام وتجّار الدّين؛فجميعهم لصوص كبار مسيّجين بالنّار والحديد والحرس والكلاب والأسوار العالية والسّلطة،ولا أحد يستطيع أن يلوّح لهم بتجريم أو عقاب أو محاسبة أو قصاص،أمّا صاحب النّجمة فهو أرض حلال على كلّ باغ أو قاصد أو قاطع سبيل مادام ضعيفاً وفقيراً ومنكسراً ولا مال له أو نصير أو نفوذ.

السّلطان اللّص ثار وأزبد غضباً لحرمة السّماء ذات النّجمة المسروقة،وأعلن حكمه العدل في خطاب رسميّ سلطانيّ،وأعلن أنّ

النّجمة حق وطنيّ،وتراث إنسانيّ حضاريّ،وعلى الإسكافيّ أن يردّها في التّو والسّاعة إلى خزينة الشّعب،وأن يدفع غرامة كبيرة عن هذا الاختلاس فضلاً عن لزومه السّجن مدى الحياة ليكون عبرة لكلّ من تحدّثه نفسه باللّعب بمقدّرات الوطن،ونهب خيراته،والاستهانة بحماه،وقد أيّده الشّعب كلّه في حكمه العادل البائن الحزم!وتغاضوا بذل وتواطؤ عن أنّ النّجوم جميعها مرقومة في أمكانها في السّماء،ولا مفقود منها أو مسروق،وهذه حقيقة بائنة جليّة لتبرّئ الإسكافيّ المتّهم.

عندما سمع الإسكافيّ الكذّاب الحكم المنزل به أُسقط في يديه،واعترف بكذبه ومزاعمه الملفّقة بسرقة النّجمة،وأوكل مهمّة إشاعة خبر اعترافه بكذبه لحبيبته الثّرثارة،ولكن رجال كبير الجند كانوا لها في المرصاد،وكي يأمنوا ثرثرتها في هذا الأمر،فقد قطعوا لسانها،وأراحوها منه إلى الأبد بعد أن حرموها من موهبتها الفذّة المبهجة لقلبها.

وفي صباح ليلة مقمرة قضاها السّلطان يخطب في شعبه ناعياً لهم النّجمة المسروقة التي ثبت بالدّليل القاطع أنّ الإسكافيّ قد هرّبها خارج الوطن،وباعها لجهات معادية نُصبت المشنقة للإسكافيّ المجرم عدوّ الوطن والمواطن وسارق النّجمة،ورأفة به فقد سُمح له قبل تنفيذ حكم الإعدام بحقّه بأن يُصلّي ركعتين استغفاراً لله على جريمته البشعة في حقّه وحقّ الشّعب والتّاريخ والسّماء والأرض والسّلطان والنّجوم وجهات أخرى رسميّة وشعبيّة،ثم أُقيم عليه حدّ سرقة النّجمة كما قرّره السّلطان،وقضى نحبه مكلّلاً بعار خيانة الوطن والمليك والشّعب! ثم تُرك طعاماً لجوارح الطّير وسباع الأرض،وبات نسياً منسيّاً!

منامات السّهاد

" أفلح من نام، وتعس من استيقظ" [1]

(١)

منام السّلطان

سهد السّلطان ثم نام،فرأى في المنام يا سادة يا كرام فيما يرى النّائم أنّ الرّعية خرجت إلى الشّوارع تهتف باسمه،وتدعو له بطول العمر،وتسأل الله بإلحاح أن يأخذ ما في أيديها من عطايا،ويهبها للسّلطان،لينفقها في سبل لهوه،ودروب مجونه وعبثه،عندها خرج إلى شرفة قصره،وشكر شعبه على تقديره الرّفيع لشهيته الشّرهة للّذائذ والمتع،وفي لحظة مجازفة متهورة طلب من جنوده أن يفتحوا خزائن قصره للرّعية ليغرفوا منها ما يشاءون،ويمضوا إلى شؤون حيواتهم راضين مرضيين،وعندما بُرّز الجوهر والمال للشّعب،أشاحوا بوجوههم عنه،ورفعوا الأكفّ الدّاعية لله بطول بقاء السّلطان،وصمّموا على أن يضمّ ما في أياديهم من عطايا وهبات إلى كنوزه المكدّسة في غياهب سراديب قصره المنيف الرّابض على تلّة السّلطنة وعلى صدورهم الممتلئة أحزاناً وآلاماً.

---

[1] ورد في أسفار المجرّبين والصّالحين المهزومين:"النّوم باب من أبواب البركة المستجلبة،وهو مندوب مُستحبٌ عند الخاصّة والعامّة،والاستيقاظ باب من أبواب المنقصة-والمعاذ بالله- وهو مكروه،وفي بعض الأسانيد هو حرام لا خلاف في حرمته.والمستبدّون أعلم".

فأسقط في يدي السّلطان من شدّة إلحاح الشّعب عليه بـأن يضـمّ قليلهم المقطوع من أقواتهم إلى كثيره المكدود من عرق ضنكهم،وتلطّف عليهم بأن تكرّم بقبول هداياهم،وصرفهم بلطف وهم يرفلون بحمده.

وراح يرقبهم في منصرفهم غير آبـه بأسمـالهم الـتي بالكـاد تسـتر أجسـادهم الهزيلـة الـتي براهـا الجوع،وقسـمها الذّل،وكبّلـها العـوز والخوف،وغضّ الطّرف عن عيونهم التي تزوغ بفضول في قصره تدهش لما فيه من مظاهر الخيلاء،وتحف الترف،وأطربه دبيب خطـى قـدم تلـك الحسناء الفلاّحة التي تستر ثدييها برأس طفلها الرّضيع،وتلمّظ بتلاحـق يقطّع نياط قلبـه وهـو يتخيّلـها فريسـة سـهلة تنهشـها أظلافه،وأرسـل الطّرف لشهواته تلفّعها برغبته.

وما كاد زوج المرأة الفلاحة يلتقط نظرات مولاه السّلطان،حتى هزّه الطّرب،وأدركه الفرح،وزهـد بزوجتـه،ورغب في أن تكـون وجبـة لذيـذة في فـراس السّلطان،فشـدّ طفلـه عـن صـدرها،وهمس في أذنهـا بجبور،ثم تابع مسيره يحمل طفله يحثّ الخطـى للابتعـاد،في حـين قفلـت الزّوجة راجعة تيمّم نحو قصر الحريم لتكون هدية الشّعب في هذا المساء للسّلطان الهمام!

عندها زاد حبور السّلطان بوفاء شعبه وإخلاصـه لـه،وأمر جنـده بأن يؤدّنوا بالنّاس أنّه تقديراً منه لظـروفهم وتخمينـاً لتفـانيهم في سـبيل إسعاده،فقد قرّر أن يزيد الضّرائب والمكوس،ويشـيع المصـادرة العرفيّـة لأملاك العباد،ويقنّن الأرزاق،ويحرث الجبال على أكتاف الرّجال.

فهلّل الشّعب ابتهاجاً بكرم السّلطان،وشخصت العيون إلى السّماء تسأل الله أن يمدّ في عمر السّلطان الرّحيم الحنون.[٢]

(٢)

منام الشّعب

سهد الشّعب ثم نام،فرأى في المنام يا سادة يا كرام فيما يرى النّائم أنّ الحياة قد صفت له،وأنّ كامل حقوقه قد ردّت إليه بقدرة حجاب فعّال نفث فيه نفر من الجان،وعقد عقده نجل الشّيطان،ورأى السّلطان يجرّ أذياله في الشّوارع والميادين،يتفقّد الرّعية،ويجبر خواطر المكسورين،ويردّ المظالم إلى أهلها،ويوقد نيران القرى للغادي والرّائح.وحوله رجال بطانته من الصّالحين العابدين الخيّرين الذين لا يخشون بالحق لومة لائم،فيشدّون من أزره،ويضربون معه على أيدي الظّالمين،يأمرون بالمعروف،وينهون عن المنكر.

بالعدل صفت الوجوه،وزهت العيون،وابتسمت الثّغور،وعمّ الخير،وآتت الأرض غلالها أضعافاً،وطرحت جناها في العام الواحد مراراً،فطهرت القلوب،وعفّت الأيدي والأجساد والدّمم،وعمّ الأمان،وانتشر الخير،وفاضت الهناءة،وما عاد في السّلطنة من ينام حزيناً

(٢)- تتضارب الأقوال عن هذا المنام؛ففي رواية سيئة السّمعة رُوي أنّ السّلطان أمر بفرمان مستعجل أن يتحوّل منامه إلى حقيقة حتى ولو سفك دماء الأبرياء الذين يرفضون أن يتورّطوا في منامه،وفي رواية ثوريّة ذكر الرّاوي إنّ هذا المنام كان المنام الأخير للسّلطان قبل أن تسفك مناماته جميعها على نصل مقصلة الثّوار.

أو مظلوماً أو خائفاً أو جائعاً،وغدا همّ المواطن أن يسأل ربّه أن يهبه حسن شكر السّلطان الذي بفضله ازدانت الحياة،وجملت المعيشة.[٣]

(٣)

منامها

سهدتْ ثم نامتْ،فرأتْ في المنام يا سادة يا كرام فيما يرى النّائم أنّها سُمّيت فرحاً عند مولدها؛لأنّ والديها أرادا أن تحمل اسماً يكرّس مشاعر فرحهما العميق بمولد ابنتهما البكر التي تمنيا دون توقّف أن تكون أنثى جميلة ترفل في الدّمقس والحرير،وتتربّى على العزّ والدّلال،وتملأ حياتهما بهجة وسعادة وغبطة،ولذلك سمّياها فرحاً.

الدّنيا كلّها كانت تفتح ذراعيها لفرح، القبيلة التي لا ترى الحياة تكتمل إلاّ بمولودة أنثى جميلة كتبت باسمها حصتّها المقنّنة من أراضي المواليد الجدد.وظلّت تاج والديها إلى أن جاء أخوتها الذّكور إلى الحياة؛فارتقوا بها لتكون جوهرة حيواتهم .

تفاصيل حياتها كلّها جاءت على قدر الأمنية،وعلى حجم الأمل،وعلى مساحة الشّوق؛ الدّراسة كانت متاحة أمامها حتى استكفت منها،والوظيفة العادلة ساوتها مع أقرانها من الرّجال العاملين بجدّ والنّساء العاملات بإخلاص،والأمير الوسيم الذي يسكن

[٣]- هذا المنام سارٍ بأمر من السّلطان.ولو استيقظ الشّعب لعرف أنّ الأقدار تغيّرها السّيوف لا حجابات الجان!

الغمام،ويحلّق على صهوة مهر أبيض مجنّح خطفها في ليلة حلم،وطار بها إلى السّموات العلا،وأنزلها عروساً له في قصر المرجان في عنان السّماء. [٤]

(٤)

منامه

سهد ثم نام، فرأى في المنام يا سادة يا كرام فيما يرى النّائم أنّ الأراضي تهب جنى دون أن يزرعها،وأنّ تخوم الوطن تُؤمّن دون أن يحرسها،وأن النّجاح يُحصّل دون تعب،وأنّ الذّكر يعلو دون عمل،وأنّ فتاة الأحلام توافي على السّاعة كما يكون الأمل،فيتزوجها دون أيّ معرقلات،وينجب منها فوارس زمنه وجميلات عصره،ويعيش تفاصيل قصة سعادة كاملة دون كدر حتى يأتيه هادم اللذّات ومفرّق الجماعات. [٥]

(٥)

منام السّعادة

سهدت السّعادة ثم نامت،فرأت في المنام يا سادة يا كرام فيما يرى النّائم أنّها قد غدت ماء كلّ شارب،وهواء كلّ متنفس،وقدر كلّ مخلوق،فآلت إلى الرّكون إلى القلوب كلّها،وسارت في الدّروب

---

[٤]- حلم أنثويّ لم يعد سريّاً بعد أن سقط بالتّقادم.

[٥]- حلم ذكوريّ ذائع الصّيت،ولكنّه عنين.

جميعها،وصاحبت الأقدار جمعاء،وأصبحت نصيب البشر كلّهم دون محاباة أو غبن،فهنئت بنفسها،وهنئت بهم.[٦]

(٦)

منام الحظّ

سهد الحظّ ثم نام،فرأى في المنام يا سادة يا كرام فيما يرى النّائم أنّه قد أصبح زاد الفقراء؛فعزّ أكثر وندر ولؤم وشحّ ثم فُقد.[٧]

(٧)

منام المنام

سهد المنام ثم نام،فرأى في المنام يا سادة يا كرام فيما يرى النّائم أنّه قد خلص لنفسه،ووهب لذاته لأوّل مرّة منذ تكوينه،فاغتبط بفرصته النّادرة،وقطع ساعاته يحلم بحلم،ويبحث عن مأمول ليقتنصه،فأدركه الصّباح،وفرّ منه إليه،وأُسقط في يديه،وفاته أن يكونه ولو لمرّة واحدة في حياته[٨]

---

[٦] - يحدث في المدينة الفاضلة المزعومة.

[٧] - حظّك هو جزء من حظّك.

[٨]- هكذا هي الحياة منام لا يدرك مناماً.

حيثُ البحر لا يصلّي

"البحر يذهب للصّلاة" كانت هذه الجملة هي إجابة أمي الوحيدة والمكرورة والأكيدة عن سؤالنا الطّفوليّ عن مآل موجات البحر التي تختفي في البعيد،فلا نعود نراها،ونظّنها تخوننا،فتهرب إلى البعيد لتداعب أقدام أطفال آخرين يصادقون البحر أكثر من صبية ثلاثة وطفلة صغيرة اعتادوا على أن يعيشوا معلّقين بين السّماء والأرض في أعالي جبال الأطلس حيث لا بحر ولا أمواج ولا موانئ،حسبهم بحيرات رقراقة موغلة في الصّمت والغموض والسّحر الخفيّ،وذلك الغناء الأمازيغيّ الحزين المترع بنبض اللّوعة،المبتلع قصص الحرمان والرّحيل والموت والتّفجّع جميعها،والمخلص لوجوه الجبل الأليفة حيثُ لا غرباء أو كلمات وافدة مجهولة المعنى.

كنّا نصّدق كلمات أمي،ونعلم أنّ الموجات الهاربة نحو البعيد تذكّرنا بإزوف موعد صلاة الظّهر حيث اعتدنا أن نصّليها جماعة على رمال البحر الذّهبيّة المولعة بحفظ آثار أقدام العابرين والزّائرين،نصّليها على عجل ممطوط إرضاء لخشوع أمي،لنعدوا بعدها متراكضين نحو بيت الخالة فضيلة حيث ينتظرنا السّمك الطّازج المشويّ وحساء غلال البحر،والخبز المدهون بزيت الزّيتون والشّاي المغربيّ الأخضر ذو الرّائحة النّفاذة التي تغزو أنوفنا قبل أن ندخل البيت متدافعين لاهثين،ثم نلتفّ قعوداً متزاحمين حول طاولة خشبيّة نخرة بأقدام قصيرة وطلاء

مقشور،فتتسابق الأيدي التي تفوق العشر على الطّعام الذي يبدو قليلاً مهما كثُر،وننسى البحر أصلّى أم لم يصلِّ.

وعندما نغادر البحر بعد أيام صعوداً إلى الجبل برفقة عميّ الذي يأتي ليصطحبنا إلى بيتنا بسيارته العجوز التي نتكدّس فيها كسمك مملّح حيث تنتظرنا البحيرة والأشجار المثمرة ومقام الحاج علي والكسكسيّ الأمازيغيّ وطاجن الضّأن نجد أبي في أوّل القرية يفتح لنا حضنه الكبير الحنون المكرش،ويقبّلنا الواحد تلو الآخر بشارب معشوشب يخزنا بإصرار،فنصبر -على مضض- على الوخز المستفزّ خجلاً وخوفاً منه،ونبتسم،ونولّي نحو البعيد لنروي قصص البحر للجدّة وأبناء الأعمام والجيران،فتصرخ أميّ بنا آمرة بجزم:"صلّوا أولاً"،فتتذكر حينها أنّ البحر يستطيع أن يتهرّب من الصّلاة في غفلة من أمّه -إن كان له أم- أمّا نحن فلا مناص لنا من أن نصّلي الفروض على وقتها؛فأمّنا التّقيّة العابدة صبريّة، ووالدنا من أسرة تتوارث الصّلاح والإمامة في الجبل منذ مئات السّنوات،وجدّنا الأكبر الحاج علي يرقد في مقامه الجليل يرقب الجميع برضا يتفاوت بمقدار النّقود التي يدسّها الزّائرون على عجلٍ في يد خادم المقام الذي لا يبتسم لغير الأوراق النّقدية ذات الفئات الكبيرة.

هناك في الجبل كانت قصص البحر الذي يصلّي هي هديتنا لمن نؤثر من الأصدقاء والأقارب،نكبر جميعاً،ولا تكبر قصصنا،وتشيخ أمّنا أسرع من جدّتنا،وأبطأ من أبينا،وبحرنا المصلّي صبي لعوب لا يشيخ.

الصّلاة على وقتها كانت فرضاً علينا في صغرنا،ثم أصبحت ريحانة نفسي عندما كبرتُ،كنتُ أخالها الأجمل،حتى دُقت قبلة العشق،فعرفتُ حينها أنّ القلب يجيد صلوات أُخر،وعندما صلّيت في محراب جسد ذلك الصّحراويّ البرّي الباذخ الرّجولة ،أدركتُ أنّ للعاشق ألف صلاة لا يعرفها غير من ذاق حلاوة الإيمان بالهوى.يقولون إنّ العشق البشريّ فانٍ بفناء اللّحظة،ولكن الحقيقة أنّه ممتدّ لا يعرف موتاً أو رحيلاً،وهو طاقة لا تفنى،ولكن تتحوّل من شكل إلى آخر،وأجمل أشكالها هو ذلك الوجيب الذي كان يخفق في أحشائي منذ أسابيع،هو معجزة حبّنا العظمى،هذا الجنين المستلقي في غياهب قرار مكين هو الشّهادة الوحيدة على أنّ عشقنا قد ذاق جسدينا،فعطّل عزيز خططنا،وجاء سريعاً قبل أن نرتب أمور زواجنا أو نحمل أورقاً شرعيّة تجهر بشرعيّة علاقتنا.جاء قبل أن يخطبني أبوه من أهلي كما وعدني،وقبل أن تزغرد أميّ وهي توزّع حساء الحريرة ([9])والسّكاكر في الحمام المغربيّ ليلة زفافي.

هذا الجنين العاجز المتواري خلف أسابيع قليلة من الوجود أفسد فرحتنا بعشقنا،ووصم أمّه بالزّنا،وكبّل أباه بكلمة الفاجر،وألّب الأهلين علينا،وحاصرنا بالقتل،فهجّرنا بعيداً عن الجبل الذي يكفر بالحبّ وبالعشق وبالجسد،ولا يؤمن إلاّ بالأوراق الشّرعية وبالمأذون وبالزّواج،ويصلّي الصّلوات على وقتها،ويلعن العاشقين جهرة وخفية.

([9])- حساء مغربيّ شعبيّ يُقدّم في المناسبات والأعياد.

حتى البحر كان غاضباً علينا،ولم يتعاطف مع عشقنا العملاق الذي لا يخرّ مهزوماً أمام عشيرة أو موت أو طرد،هناك على ساحله الرّمليّ وقفتُ مع رجلي الصّحراويّ الذي كبر عقداً أو عقدين في شهر من الطّرد والضّياع في زقاق مدينة القصر الصّغير،كنّا نراقب من بعيد تلك الأرض المنساحة بعد البحر على رمال لا تخاف العشق أو الجسد أو الأجنة الذين لا يحملون أوراقاً شرعيّة من مأذون أو من موظّف دولة،كنّا نحلم بتلك اللّحظة التي سننزل فيها على ذلك الشّاطئ حيث أرض الأحلام التي تستقبلنا،وتفتح أحضانها الماطرة المزهرة لجنيننا الذي لا يعرف من دنياه إلاّ أنّه ثمرة صلاة مجوسيّة اسمها العشق.

الضّفة الشّمالية هناك تلوّح لنا ببهجة لّماعة بأضواء المنارات والفنارات وواجهات المباني وإنارات الطّرق،وهنا على الضّفة الجنوبيّة يحدّق بنا الموت الذي ننتظره على يدي أيّ غريب يقترب منّا؛فلا حياة في عُرف القبيلة في الجبل لامرأة مثلي ولرجل مثل رجلي المعشوق؛فكلّ منّا قد اقترف خطيئة الجسد،وعليه أن يدفع حياته ثمناً لها،ولكن هناك حيث الأضواء اللامّعة في الشّاطئ الشّماليّ المقابل الحياة تُوهب مجاناً للعشق وللجسد وللسّعادة،ولذلك اخترنا أن نهرب من هذه الأرض التي تئد أبناءها بخطيئة الحياة إلى أرض النّور وميعاد الحياة،هناك سنتزوّج،وهناك سألد طفلي،وهناك سنكون إيّانا،وهناك سنصلّي الصّلوات جميعها على وقتها،فأنّى كان البحر،فهناك صلاة.

كنّا نحلم بأن ندخل أرض الأحلام يتأبط أحدنا ذراع الآخر مزهواً بفرصته الجديدة للحياة المفاخرة بالعشق وبالطّفل القادم مرهوناً بالبدايات الجديدة،كنّا نحلم بأن تستقبلنا إسبانيا بأردية ورديّة،وبأقداح من عصير العنب وحلوى القرى،أردنا أن تزفّنا أروح العظماء إلى مخدعنا هناك حيث الحبّ مسموح،والجسد مقدّس، والحرّية مكرّمة،والكلمة مصانة،أردنا أن نقول بأعلى صوتنا: "البحر البحر من خلفنا،والحياة الحياة من أمامنا،نحن لسنا الغزاة،ولسنا الفاتحين،نحن لسنا جيش طارق بن زياد أو موسى بن نصير،ولا فلول الإسبان وجموع البرتغال وفرسان فريناند وإيزابيلا،نحن لا بربر ولا عرب ولا إسبان، نحن ثلاثة لا رابع لهم،نحلم بمساحة صغيرة في هذا الكوكب تتسع لأحلامنا ولرغبتا في الحياة".

لكنّنا لم نصرح بحلمنا؛لأنّ إسبانيا لن تسمعنا! ومن له أن يسمع مناجاة امرأة ورجل هاربين بعشقهما من الأهل والوطن والذّات؟ وحدهم عصابات هذه المدينة من لهم السّطوة علينا لمفاوضتنا على أحلامنا،بصعوبة بالغة استطعنا أن نؤمّن لهم النّقود من أجل شراء مكان لنا في إحدى الباطيرات [١٠] التي تتسلّل إلى الشّاطئ الآخر محمّلة بالحالمين الذين يُسمّون باسم المهاجرين غير الشّرعيين.أيام الانتظار لدورنا كانت طويلة في مكان يعجّ برجال العصابات وبالسّكارى

(١٠) الباطيرات : هي أسماء القوارب الصّغيرة التي تنقل المهاجرين غير الشّرعيين إلى سواحل أوروبا.

وببيوت الدّعارة وبالفقراء وبالغرباء وبالحالمين منتظري الدّور وهم يتأبّطون أسرارهم وحقائبهم الصّغيرة وذكرياتهم المهرّبة معهم نحو المجهول،وكانت عصيبة لئيمة علينا في محاولات لتوفير المسكن والطّعام والشّراب بأرخص الأثمان؛إذ نقودنا القليلة المهزولة لا تكفي إلاّ للنزّر الضّروري من متطلّبات البقاء على قيد الحياة.

كان من المفترض أن نسافر في قارب واحد،ولكن الأمر تعذّر بسبب تأخّرنا في دفع النّقود،فنفِدت الأماكن،فكان على كلّ منّا أن يسافر في قارب وحده،وإلاّ فعلينا الانتظار لأيام أخر،وهذا ما كنّا نطيق عليه صبرا،فاخترنا أن أسافرُ أولاً في القارب الأوّل لأنتظر رجلي على الشّاطئ الآخر ليوافيني بعد ساعاتٍ لا غير في القارب الثاني.

بقبلةٍ مطروحةٍ على الخدّ على عجلٍ وقلقٍ افترقنا،كان وجهه المذهول الشّاحب منارتي البعيدة التي بقيت أرقبها من مكاني في القارب حتى غاب في الأفق،وغاب معه الوطن،وغاب معه الموت والخوف والتّهديد الموصول،وجنيني الوجل الذي لا يكاد يتحرّك في أحشائي هو ذخيرتي الوحيدة في هذا القارب حيث الضّيق والوجوه الغريبة التي يرقص القلق على قسماتها رقصة الاستسلام للقادم أنّى كان.

سابقنا أمواج البحر دون انقطاع،مرات قليلة كنا نسبقها،وفي معظم المرّات كانتْ تسبقنا،وما كنتُ لأحصي ذلك؛ فقد أدركتُ أنّ الموجات لا تذهب للصّلاة كما تقول أمي،بل كانت الواحدة تذهب في إثر الواحدة لتستلقي على الشّاطئ الشّماليّ الذي لاح لنا بعد رحلة

عصيبة تحوّلنا بقهر إلى كائنات ضعيفة مغضوب عليها تسابق اللّعنة،لعلّها تنجو منها بمعجزة من إله يقّرر في لحظة رضا نادرة أن يمدّ يده لعباد يُسلقون على مهل في مرجلٍ شيطانيّ آثم،شعرتُ حينها بأنّني حلزونة تتقدّد في ماء مغلي،وكرهتُ لأوّل مرّة في حياتي حساء الحلزون[11]،ورثيت للحلزون المسكين الذي كنتُ أتلذّذ بأكله مسلوقاً،وأدركت متأخّرة معنى تلك الهيئة الكئيبة التي كان يبدو عليها وهو مسلوق!

توقّف الزّمن في رحلتنا البرزخيّة الملعونة،وعلا الموج المتعالي بتكبّر فوق رؤوسنا،وطغى جبروته على سيرورة المسير،فماد القارب برّكابه في اضطرابٍ هزليّ يكاد يردّه إلى منطلقه الأوّل،وهو يغالب بضعف يكاد يصير بكاءً قدر الغرق،في حين طغى دوار البحر على ذاكرتي وانتظاري،فانسربتُ في دنيا من الأوهام والخيالات التي تعجّ بالصّور والأصوات والرّوائح والكلمات،وغابت أرض الأحلام عن وجداني،وعجّت بي رائحة الجنس في مخدع العشق،وصوت الشّهقات والزّفرات،ووجه أمي وهي تأمرني بالصّلاة قبل الأكل،وترقرق البحيرة في الجبل،ورائحة البخور في مقام جدي الأكبر الحاج علي،وكلمات عربيّة وإنجليزيّة وفرنسيّة وإسبانيّة وأمازيغيّة مفهومة وغير مفهومة فاحشة ومهذّبة ينطق بها غرباء في سكّة الحديد،وفي حافلة الجبل

(١١) هو حساء شعبيّ مشهور في المغرب،يتكوّن من الحلزون المسلوق في نكهة من الأعشاب المخصوصة لهذا النّوع من الحساء.

القديمة،وفي النّزل الصّغير في طنجة،وتلوكها عاهرات المرفأ القديم،ويهدّد بها رجال العصابات المارّة،ويبصقها السّكارى وهم يتطّوحون أشباه عراة دون سراويلهم عندما تلفظهم الحانات ودور البغاء في آخر اللّيل عندما تفلس جيوبهم.العالم كلّه توقّف في لحظة،ثم غاب،وانسرحتُ في دوار لذيذٍ بدأ متقطّعاً ثم غدا موصولاً.

لم أرَ أضواء الشّاطئ الآخر تستقبلني؛لأنّني استيقظت من دواري اللّذيذ بعد ساعات طويلة من أفول القمر وبزوغ الشّمس التي بحثت عنها في السّماء التي تواجه ناظري مباشرة وأنا مسّجاة في مكاني،أزواج ثلاثة من العيون التي لا أعرفها كانت ترقبني بشفقة وأنا أمسّد على بطني بهلع مضطرب،وكأنّني أخشى على كنزي السّاكن في أعماقه من أن تمتدّ إليه يد السّرقة أو البطش أو القهر أو الهلاك،تكوّره الصّغير النّافر بكبر لذيذ تحت ملابسي المبتلّة المتجعّدة كان إمارة صموده وبقائه،ابتسمتُ مطمئنة راضية،وغبتُ من جديد في دواري اللذّيذ.

وذهبت اللّذة وبقي الدّوار لا يفارقني،ولا أفارقه، واكتشفت أنّ دوار اليابسة هو أشدّ بأساً من دوار البحر وأعتى أثراً،لاسيما إن كان دوار اليابسة في أرض الأحلام حيث لا أحلام تتحّقق بيسر لغرباء،ولا دعاء بعودة غائب يُستجاب؛فلا سماء تسمع صوت الغريب في هذه الأرض.

لازمتُ البحر لأيام أنتظر حضور رجلي،ولكّنه لم يحضر،البعض قال إنّه غرق مع الذين غرقوا في القارب الآخر الذي داهمته الرّياح

العاتية في البحر،البعض زعم أنّه نجا مع النّاجين الذين تعهّدهم الصّليب الأحمر بالرّعاية ثم أعادهم إلى المغرب قهر إرادتهم،وكيل العصابة التي نقلتنا في قاربها أكّد لي أنّه لم يركب البحر في تلك اللّيلة مع الرّاكبين،وأنّه قفل عائداً من حيث أتى بعد أن انطلق قاربنا نحو مبتغاه، قالوا الكثير،وسمعتُ الكثير،والنّتيجة كانت الانتظار الموصول لرجل لا أعرف أهو من خذلني أم أنّ البحر غرّر به،وابتلعه على حين غرّة،ثم طواه في النّسيان ليورثني سؤالاً لا يفتر ولا يموت،وهو: "أين اختفى الرّجل الذي أعشقه؟"

هذه الأرض الجميلة أمّ حنون على بنيها،ولكنّها زوجة أب شريرة على الغرباء،هنا يهلّلون لحريّة الجسد،ويبكون عندما يسكرون؛لأنّهم يفتقدون العشق الحقيقيّ،هم لا يبالون بأوراق الزّواج الشّرعيّة،ولكنّهم يحرّقون الغرباء بالمطاردة والتّضييق عليهم في أحوال حياتهم ومعاشهم جميعها في سبيل أوراق إقامة رسميّة الحصول عليها أصعب من ركوب العنقاء!

هذه الأرض لم تهلّل لي،ولم تمدّ يديها لتلقف صغيرتي وهي تنزلق وحيدة على بلاط جحيمها الموشّى بروائح نفّاذة،هذه الأرض لم تضمّني إلى صدرها لتشفي جراح فقدي لعشقي وأهلي ونفسي،هذه الأرض لم تبالِ بلهفتي على أن أستلقي على أرضها حيث الحرية والأمن بعيداً عن موطن قد يغتالك في أيّ لحظة بتهمة العشق أو التّحرّر أو ممارسة الجسد أو المطالبة بحق أو مساواة أو في لحظة طيش محموم غير

مبرّر الأسباب،هذه الأرض سرقت حبيبي مني،وسرقتني مني،وصادرت قلبي،واستولت على جسدي،وسجنتني في سجنها الكبير المسمّى حرية.

حاولتُ بدأبٍ وإصرار أن أجد عملاً،ولكن دون جدوى؛فلا مكان لمهاجرة غير شرعيّة في هذه الأرض،سعيت بصدق وإخلاص كي أجد منفذاً من أجل الحصول على أوراق الإقامة الشّرعيّة،ولكن ذلك يتطلّب الكثير من المال،والعمل المتواصل،والعلاقات المتنفّذة،وإتقان اللّغة الإسبانيّة،ولا مال باقٍ في حوزتي لذلك كلّه،في لحظات جوع كبير تعضّني،وتعضّ جنيني كنتُ أفكّر في العودة إلى موطني حيث البحر يصلّي بلا انقطاع،تمنّيت أن أُردّ إلى بيتي الجبليّ المعلّق في القمم السّوامق حيث تراتيل زوّار مقام الحاج علي،ووشوشات البحيرة،ووجه أمّي المخضّب بالقداسة والقناعة والصّلاح،حتى ولو ذبحني أهلي على بلاط حديقة منزلي لأكون عبرة لكلّ امرأة تحدّث نفسها بالعشق،ولكنّني ما كنتُ أملك ثمن العودة للاستسلام لهذه المصيرالذي ذرعتُ البحر هرباً منه.

الكلّ تخلّى عنيّ في هذه الأرض: إسبانيا وأهلي وحبيبي وأحلامي،وعشقي،وحرّيتي،وإبائي،حتى عفافي قدّ تخلّى عني؛قالت لي رشيدة الوادي مديرة بيت الدّعارة في مدينة ملقا إنّ المعدة الخاوية لا تبالي بالجسد العاري،عندها سببتها،وطردتها من جحري حيث آوي مكرهة وحيدة،ولكنّني بعد أيام قليلة من الجوع كنتُ أسلمها جسدي المهزول المتفتّق عن بطنٍ متكوّر على حمل في أشهره الأخيرة،يومها نهقت

بضحكاتٍ منضوحة من أعماقها التّتنة المتعفّنة حيث لا تسكن إلاّ النقود المبتلّة بعرق أفخاذ فتياتها العاهرات اللّواتي تتاجر بأجسادهن ليل نهار،ثم قالت:"سأنقص من أجرك نصفه؛فقليل من الزّبائن من يرغب في أن يسافد امرأة منتفخة البطن!"

لم أفاوضها في ثمن جسدي؛ فمهما دُفع فيه يظلّ المدفوع زهيداً،ولكن مع أوّل يد تجرّد الجسد من ستره،وتطرحه في فراش العهر يغدو رخيصاً لا قيمة له أو ثمن! أصبح جسدي دنساً،وكلّما انتهت مهمّته الكريهة،أسدر في ضحك هستيريّ لا ينتهي إلاّ جبراً من أجل أن يقدّم خدماته الإبليسيّة من جديد لزبون آخر مقابل حفنات من الأوراق النّقديّة المدفوعة مسبقاً لرشيدة.

حمقاء أنا،ومنكود جسدي،وملعونة هي أحكام عالمي المعلّق هناك في الجبل،أرادوا أن يسفكوا دمي؛لأنّني وهبت جسدي للحظات لرجل أعشقه،فها أنا ذا أبذله رخيصاً في هذه الأرض لكلِّ باغٍ،فما تراهم سيفعلون أولئك الحفنة من الظّلمة لابنتهم التي تحترف البغاء في ملقا؟!

طفلتي آمال هي تعويذتي المقدّسة الوحيدة في هذه الأرض حيث لاشيء غير دنسي،أطعمها من أثمان جسدي الذي تنهشه كلاب الطّرق بلا انقطاع،أتقن أن أواريها سرّاً بعيداً عن يدي رشيدة في دار رعاية خاصّة،وأدّخر كلّ ما أحصل عليه من مال كي أدفعه أقساطاً لتلك الدّار كي تبقى بعيدة عن المستنقع الذي أعيش فيه،قلّما أحظى بفرصة كي أراها،وأرافقها في رحلة إلى البحر الذي ابتلع أحلامي كاملة،وسرقني

منّي،أضمّها عندئذٍ إلى صدري الذي أعتاد على أظلاف الرّجال تخمشه بوحشيّة من يتبرّز على سجّادة طاهرة اشتراها من عبد آبق منكود،أروي لها قصص أرض الأحلام حيث منزل الجبل والبحيرة ومقام الحاج علي،وعندما تسألني متى نذهب إلى تلك الأرض،أتجاهل سؤالها الطّفوليّ الحلو،وأشرع أراقب معها الموجات تتسابق راكضة للانكسار في الأفق،فتسألني آمال بفضولٍ بادٍ:"إلى أين تذهب الموجات؟"

ابتسم لها ابتسامة عريضة،وأقول لها وعيناي تزوغان نحو الشّاطئ الجنوبيّ:"تسافر نحو البحر الذي يصلّي".

فتسألني باستغراب غارق في طهر سنواتها الخمس:"ألا يصلّي هذا البحر الذي تسكنه هنا؟!"

أجيبها بحرقة محلاّة بابتسامة مصنوعة بإحكام:"البحر هنا لا يصلّي يا آمال!".تتمّلك آمال نظرة حيرى بريئة وهي تنعم النّظر في قسماتي كأنّها تستبين الصّدق من الكذب فيما أقول،وتسأل بصرامة من ألقى القبض على آثم:"وأنتِ يا أمّي ألا تصلّين؟"

أضمّها إلى صدري سريعاً كي لا ترى دموعي الخائنة لهيئتي المتجمّلة بمبالغة رخيصة:"أمثالي من النّساء لا يصلّين يا آمال! أنا يا آمال..."

ويعلو صخب هدير البحر،فيطغى على صوتي،فلا تسمع آمال كلماتي،ولا أجرؤ على أن أكرّرها على نفسي من جديد ،فأصمت بذلّ من يبتلع لسانه جبراً،ويظلّ البحر يهدر وآمال تحّدق في الموجات الهاربة نحو البعيد...

الضّياع في عيني رجل الجبل[١٢]

تحرّضني الكتابة على كتابة الرّجال والأحداث،ولكنّكَ وحدكَ دون العالمين من يهبني دواراً جميلاً يكتب بأريجه الجبليّ حدثاً كونيّاً فلكيّاً ووجوديّاً لقلب ينبض فيّ اسمه أنتَ.

تضجّ أصوات الغابة ونداءات الطّبيعة وغريزة الاشتهاء في قلبي إزاء حادث استثنائيّ،اسمه الاقترابُ منكَ،من الممكن أن ألخّص معجزة لقائي بك من باب الاستحياء أو الجبن أو الهروب من سحركَ بوصف الإعجاب بكَ وحسب.

ولكن لأنّني سأحجم من دون شكّ عن إعطائكَ هذه الرّسالة،وبذلك لن تقرأ ما فيها،فدعني إذن أكتب فيها ما أشاء،مادمتَ لن تعرف أبداً بوجود هذه الرّسالة على الرّغم من درايتك بالكثير،ولكن لسوء حظّي وحظّك فإنّك ستجهل وجود هذه الرّسالة في الكون،ولن تدري أبداً بأنّ هناك امرأة عاشقة لكَ جاءت من زمن المستحيل لتلقاكَ لساعات مسروقة من الزّمن الآثم،فتهبكَ قلبها دون حول لها ولا قوة،ثم تستسلم طائعة للنّسيان والابتعاد ما دامت لا تملك غيرهما،ولن تدري كذلك بأنّ هذه المرأة كتبت لكَ في ليلة رحيلها

---

[١٢] - له الخيال أن ينسج لقاءك،ولا يمكن أن أقبل بإنكار الذّاكرة لذلك؛لابدّ أنّني قد قابلتك في زمن ما،في قصة ما،وهذه قصة تصلح لهذا اللّقاء.

المشؤم عنك ما يتمنّى أن يسمعه أيّ رجل من امرأة عاشقة،وما يجب أن تتمتم به امرأة عاشقة حدّ الجنون مثلي لرجلها المُصطفى.

تبدأ الحكاية من ألف صدفة قادتني جميعها إلى قدر مُشتهى اسمه لقاؤكَ،حيث جئتُ إلى مدينة الجبل العنيد أتوقّع أيّ شيء إلاّ أن ألقاك؛فلطالما اعتقدتُ بأنّكَ فكرة أو حلم؛لأنّكَ أجمل من أن تكون حقيقة.ولكن عندما طرق صوتكَ أذني في أوّل لقاء لي بكَ أدركتُ أنّ الإله أراد في لحظة خلق جديد لأقداري أن ينحاز إليّ لسبب مجهول كي أسعد بكَ ولو لساعات قليلة،وأقبل بعدها بالموت بعد أن أدركتُ أنّ الأحلام يمكن أن تكون حقيقة.وأدركت أنّ الظروف جميعها التي تحالفت ضدّي المرة تلو الأخرى من أجل أن تمنعني من المشاركة في المهرجان لأكثر من دورة،ثم عادت بخبث للتّكالب عليّ لتمنعني من الحضور حتى في هذه المرة ما هي إلاّ خدع حقيرة من إله الألم كي أُحرم من مقابلتكَ؛الظّروف جميعها كانت ضدّ أن نلتقي كما كان الزّمن ضدّنا سلفاً،فمُنعنا من اللّقاء منذ زمن طويل،أمّا الآن فما عاد للأقدار طاقة على حرمانكَ مني،أو حرماني منك،فقد التقينا،وما كان كان،وقد آن زمن العشق،بعد أفل زمن الحرمان والأمنيات المؤجّلة،فاقبلْ نحوي يا مولاي،وأخيراً هزم عشقنا العجيب أقدار البعاد اللّئيمة،فأنا مرسلة إلى الأرض لمهمة واحدة،وهي أن أحبّك،وأنتَ مخلوق في نظري لمهمة واحدة،وهي أن تعشقني،فليقم كلّ منا بواجب وجوده،ومعنى كينونته،فقد ضاع منا الكثير من العمر سدى.

أتعرف كم قبلة فاتتنا؟أتعرف كم مخاصرة حُرمنا منها؟ أتعرف كم مضاجعة لم نقم بها؟ أتعرف كم ليلة ماطرة لم أكن فيها في حضنكَ؟ أتعرف كم شهوة قتلتها في نفسي في انتظاركَ؟ أتعرف كم صبوة نذرتها لكَ؟ أتعرف كم كلمة من المستحيل نحتّ لكَ؟أتعرف كم بحثت عنكَ؟ أتعرف كم انتظرتكَ؟ أتعرف أنّ جسدي ودمائي منذورة لكَ؟ إذن عليك أن تقبل نذوري متقبّلاً حسناً،و أن تحرقني في معبدكَ اللّذيذ مادمتَ ناراً وإلهاً واحتراقاً،وأنا أشتهي الاحتراق بكَ يا من انتظرتني،أنا متأكدّة من أنكَ انتظرتني طوال عمركَ.

لا قيمة لسنينكَ الماضية وتمرّدكَ وهزائمكَ وغنائمكَ وسلطتكَ ودموعكَ وخطاياكَ وآثامكَ وحسناتكَ ونسائك وكؤوس خمرتكَ دون لحظة تمضيها في قلبي هذا المخلوق الأسطوريّ الهارب من قصص العشق المستحيلة ليهبكَ ذاته،وسعادتكَ القدريّة معي،لا قيمة لكلّ رجولتكَ ولسيفكَ الرّجوليّ المثير إن لم أكن غمده الأبديّ،لا قيمة لكلماتكَ إن لم يحسن ثغركَ الكرزيَ المشهّي تقبيلي،لا قيمة لأنوثتي إن لم تسعدكَ وتفتنكَ،وتمتصكَ حتى آخر قطرة من رجولتكَ التي أراهن عليها بعمري وجلال افتناني.

صوتكَ المسروق من مراقص الجنّة أوّل من قَبّل حضوري منكَ،وطبع قبلة استوائيّة على قلبي الممطر،وارتدّ إليكَ ليزيّن كمال بهجتكَ الرَجوليّة الباذخة الغارقة في ترنيمة الحياة.

منذ أن وقعت عيناي عليكَ اشتهيتكَ كما لا ينبغي لامرأة من زمن الارتحال أن تشتهي رجلاً،وكلانا من زمن لعنته،وخيارات احتراقه.جلستُ أمامكَ أسمعكَ لساعات،حفظتُ قسماتكَ وتنهداتكَ،داعبتُ روحكَ،سكنتُ انعطافات صوتكَ وارتفاعاته وانخفاضاته وأزمانه ومواسمه وجغرافياته.تمنّيتُ حينها أن يختفي العالم كلّه لأستأثر بكَ دون العالمين ولو لدقائق.دختُ بكَ،وتمنّيتُ لو كان في إمكاني أن أحضنكَ لتكفّ الأرض عن الدَوران.

صوتكَ أوّل من تآمر على ضعفي أمام سحر حضوركَ،كنتَ تتكلّم حينها على المنصّة،وكنتُ الضَيفة المتأخّرة التي جاءت من مكان بعيد قريب لتقف إلى جانب باب القاعة التي تضجّ بالأصوات والحضور،لا أعرف بعدها ما حصل معي،فقد انتحرتْ ذاكرتي عندها،ونسيت كلّ من معي من أصدقاء ،وهدف وجودي في المكان،وكيف حضرتُ إليه،وماذا أفعل فيه،ولماذا أنا دون غيري أغرق في وهيج وجهكَ البهيّ الذي يمطر المكان بقسمات من نور،وبصوت رجوليّ مثير يهزّ المكان بترنيمة مزمار إلهيّ يُعلن موتي وبعثي من جديد.

وها قد متّ فيكَ وبكَ ولكَ منذ أن سمعت صوتكَ،ووقعت عيناي عليكَ،فهل يمكن أن تبعثني يا أنتَ امرأة حيّة تسعى من جديد بعد أن قُتلت قبل قليل فيكَ وبكَ؟وهل تدري الآن أنّ امرأة جاءت من المستحيل تلبس الأخضر،جالسة مواجهتك تماماً،تفهم كلّ كلمة تقولها بلغتكَ التي تجهلها،وترفض أن يترجم لها أيّ صديق ما تقول على الرّغم

من جهلها بلغتكَ؛لأنّها تفهمكَ بقلبها الذي أنفق سنينه وانتظاره على مرفأ الاشتياق يرتقّب حضوركَ،الآن ما عاد اللّقاء يكفي لأن يطفئ شوقي،فأيّ شوق يسكن باللّقاء لا يعوّل عليه،وأنا أحترق الآن أمامكَ يا سيّد الكلمات والمواقف والتّاريخ الطّويل من التمرّد والعصيان والغضب النّبيل،هل يمكن أن تتمرّد الآن قليلاً على تمرّدكَ لتبصرني؟ فقد جاء زمن فتحي في قلبكَ،وأنا لن أعود أبداً دون قلبكَ.

كان يكفي أن تنظر في عيني لدقيقة لتعرف أنّنا التقينا منذ ألف عام في ألف حكاية،لنلتقي الآن في حدث جديد اسمه عشقي لكَ.

وغادرتُ القاعة بعد انتهاء المحاضرة،وبقيتُ معكَ،وبقيتَ معي،وظلّ دواركَ اللّذيذ يصيب روحي بالبلل وكبريائي بالجفاف،وغاب كلّ شيء إلاّ طيفكَ وفحوى إعلان محبوس يجوس في أعماقي،فيخنق مقاومتي،ولا يختنق.

سألتهم بجهلي الخرافيّ من تكون؟ فقالوا لي إنّ اسمكَ سيّد الجبل،وعرّفوا بكَ طويلاً،ولكنّني ما سمعت شيئاً ممّا قالوا،فقد غبتُ في اسمكَ،وراقصته،وضممته إلى صدري،وحفظته،ثم ابتلعته،وأسميتكَ كما شاء العشق لي:"حبيبي".

الخطوات كانت بيننا معدودة،كان من الممكن أن أقطعها بثوانٍ،لأقول لكَ: "أهواكَ،هل طال انتظاركَ لي؟" كان من الممكن أن أفعل ذلك،فقد رأيت في عينيكَ في العميق السّاحر بارقة رؤية لي تنبئني

بزهو بأنّ رسالة عينيّ وصلتكَ بسلام،وحلّت في نفسكَ برداً وزلالاً،وأنّ روحك تمتدّ أيادي وأكفّاً وأنامل كي تمسّد على روحي،وتدفعني نحو صدركَ الذي ألمح من مكاني العابث بعض شعره الذّكوريّ المثير الذي يثور على هندامكَ الجميل الرّزين،وينـدفع من طوق قميصكَ المقلّم المفتوح الزّر العلويّ.

لكنّني عجزتُ عن أخطو خطوة في اتجاهكَ،وهرعتُ إلى خارج المكان،لأسجّل أوّل هزائمي أمام عينيكَ،أخذتُ نفساً طويلاً لأباركَ هروبي،تفرّستُ في اللّوحات الفارسيّة المعروضة في بهو قاعة المهرجان،وأطلتُ النّظر في اللّوحات،وفكّرتُ في أن أقبّلها؛إذ أطلّت صورتكَ الملائكيّة،وصوتكَ الفردوسيّ من كلّ واحدة منها،فانتحرت التّفاصيل الأخرى في لحظة واحدة،وذابت الألوان والوجوه جميعها،حاولت عندها أن أتلو اسمكَ على نفسي؛لأستعيذ به منه،ولكنّني عجزتُ عن أن أتذكّره،فابتسمت غير مبالية بخطيئة نسياني له؛فما جدوى أن أحفظه،وأنت لا تدري بوجودي،ولا تعرف منّي وعنّي غير نظراتي العاجزة اليتيمة التي لا تملك معكَ ذاكرة سوى ساعات قليلة أمضيتها أسمع عزيف صوتكَ يعرّيني من صمتي،ويغزو جلدي،ويطبع ألف أمنية على أديمه المسكون بكَ منذ قُدّر عليك ذلك.عندها غرزتكَ في سويداء قلبي،وناديتكَ باسم حبيبي،فالتفتْ إلى نجواي السّماء والأرض وما بينهما من خلق سوى البشر.فهل سمعت

ندائي لكَ في تلك اللَحظة؟ تمنّيتُ أن تكون قد سمعت ندائي،وكدتُ أجزم بأنّكَ قد فعلت.

لا أعرف كيف يمكن أن ألقاكَ من جديد في هذا العالم المحموم،كان اللّقاء الجماهيريّ مع الضّيوف في ذلك المساء هو أملي الوحيد في أن أراكَ من جديد،وأصافحكَ،فأزرع ألف قبلة من روحي في راحة يدكَ،لعّل هذه القبل تخبركَ بأنّك بتّ تجري مني مجرى الدّم في الشّريان،كانت فرصتي كي تنظر في عيني،عندها فقط سوف ترى ما لعلّكَ تبحث عنه طوال عمركَ.ولعلّ الفرصة لا تواتيني كي أقترب منكَ،فأحترق بكَ من جديد،وأصبح هباء منثوراً دون أن تعلم أنّ رسولة عشق السّماء قد مرّت بكَ دون أن تلتفت إليها،فيحرم كلانا من البعث المقدّس في عشق خالد يمكن أن يصبح حقيقة لو حضرتَ إلى لقاء مدير المهرجان أو حضرتَ العشاء الذي يليه في أسوء الاحتمالات.

ليلتها لبستُ ملابس بيضاء،ورششتُ عطراً أبيض،وحملتُ قلباً أبيض،وعشقاً أبيض،وانتظاراً أحمر لظى،وانتظرتكَ بأنوثتي ورغبتي وعشقي وخفقان قلبي،وارتعاشات جسدي،ونداءات روحي،لساعات طويلة انتظرتُكَ،لم أرَ أحداً من الحاضرين على الرّغم من كثرتهم،ولم أسمع أيّ كلمة،ولم أفرح بمغازلة أو معلومة أو حديث أو تعارف أو عشاء أو موسيقى أو جمع من الأصدقاء والمعجبين،وكتمتُ في نفسي حزناً أبيض يليق بالتّفجّع على غيابكَ،واستسلمتُ لحقيقة أنّك لم تحضر اللّقاء أو العشاء،وزجرتُ نفسي الملحاحة التي بكت لي متوسّلة طويلاً

كي أسأل عنكَ،ولكنّني صممتُ أذني دون توسلاتها الرّعناء،ولم أسأل عنكَ،وغضضتُ الطّرف عن ألمي،وأسئلتي المتكرّرة:"من أنتَ؟ وأين أنتَ الآن؟ ولماذا لم تحضر؟ وهل سأراكَ مرة أخرى،وكيف؟ومتى؟"

رسمتُ ضحكة عملاقة على وجهي،وانتحبت أمنياتي طويلاً بصمت جليل،وسلّمت لفكرة غيابكَ لطارئ ما مثلاً،ومنعتُ نفسي من شعوري القوي بوجودكَ في حفل العشاء على الرّغم من أنّني لا أراكَ أبداً في المكان،وأمّلتَ نفسي بلقاء قريب،فوقت رحيلي يقترب،وفي النّفس ألف أمنية مؤجّلة،وألف اعتراف مقدّس،والرّسالة الوحيدة التي أحملها في جعبتي للعالمين هي أنّني عاشقة لكَ،ولتحترق الدّنيا بعد ذلكَ.

الموسيقى التي يعزفها العازف الوحيد على المنصّة جميلة وحزينة،أمّا غناء ذلك المطرب الوسيم فلا أفهم كلّمة من كلمات أغنيته،ولكنّني أشعر بكلّ نغمة وأفهم إحساس كلّ كلمة،لا أزال أشعر بأنّكَ هنا معي في العشاء على الرّغم من عدم رؤيتي لكَ،هل يمكن أن تراقصني على هذه الأنغام؟ لابدّ أنّك تملكَ أجمل حضن في الدّنيا،يا إلهي كم سأكون أثرى امرأة في التّاريخ البشريّ عندما تأخذني إلى صدركَ،عندما يتكسّر ثدياي على صدركَ،عندما يتآلف كلّ نافر وبارز من جسدينا،فيستقرّ كلّ منها في تجويف جسد الآخر! كم سيكون فاتناً أن أشمّ رائحة جسدكَ! كم سيكون ساحراً أن تشمّ رائحة شعر رأسي! سأفتن بلا شكّ عندما تطوّقني يداك،وتمتدّ يداي إلى رأسكَ،فتغرق أناملي في خصل شعركَ الفضّي الذي يسبي قلبي كلّما أبصرته،ويستريح

رأسي على يسار صدركَ لأسمع وجيب أعماقه،فأرقص على نبض قلبكَ،وتدفّق رغبتي وشهوتي،يا إلهي عندها سيتوقّف الزّمن دون شكّ ،قد نمضي القادم من عمرنا في هذه الرّقصة،أنا شخصيّاً مستعدّة لأن أقايض عمري كلّه مقابل رقصة واحدة لي معكَ؛ كم مرّة أستطيع أن أراقص إلهي البشريّ؟مرة واحدة فقط في العمر إن حالفني الحظّ،وأنا الآن المرأة القادرة في هذا الكون على أن تسعد قلبكَ،أتعرف لماذا؟ لأنّ عشق النّساء الماضي والقادم والمفترض والمأمول والممكن والمستحيل قد جمع كلّه في قلبي لكَ.فهنيئاً لكَ يا سلطان قلبي؛فهو شعب من العشّاق لكَ اسمه أنا.

ليلتها عدّت إلى الفندق،وجلستُ طوال اللّيل في سريري عارية شاردة في دنيا لم أدخلها من قبل،متعبة من رقصتنا الطّويلة الجميلة التي أدّيناها في خيالي وأحلامي،وبكيت بحرقة،فأخيراً طرق العشق قلبي،كم انتظرتُ هذا العشق،وتغسّلتُ لأجله مليون مرّة بماء الورد ومنقوع الزّعفران وخلاصة زيوت النّماء،ونذرتُ له نذور الدّنيا جميعها،وتنسّكتُ في محرابه حتى كدتُ أحمل نبأ نبوّة من السّماء،وهاهو الآن يأتي معطّراً بالحرمان،ومدثّراً بجيش من الحرس الذين يقفون بيني وبينك،كيف أقول لكَ إنّني أهواكَ؟ وغداً هو اليوم الأخير لي في هذه الأرض،فهل أحمل جنوني،وأحزم غرامي،وأطير نحو عالمي بأجنحة كسيرة لا تقوى على أن تحمل قلبي الكسير،أو على أن تحلّق بروحي المشدودة نحو أرضكَ التي بتُّ أعشقها؛لأنّك تسير على ثراها؟أم أصمت

للأبد؟ وابتعد عنكَ دون أن أزفّ إليكَ أحلى خبر في حياتكَ؟ إذن لأتلو على نفسي حتى الصّباح ما أعجز عن أن أقوله لكَ مباشرة:أنا أعشقكَ.... أعشقكَ... أعشقكَ... أعشقكَ.

أحاول أن أنام،فأخفق في ذلك،لماذا أتمنّى في هذه اللّحظة أن يحصل كلّ مستحيل ومرعب ومخيف،فأجدكَ أمامي هنا في هذه الغرفة،لا أعرف بماذا يمكن أن أسمّي ذلك،لكن هذا ما أتمنّاه،أن أراكَ تداهم غرفتي،وتقف أمامي مباشرة،ماذا سأفعل حينها؟هل سأسارع إلى أقرب قطعة قماش أستر بها جسدي؟ هل سوف أتخفّى خلف شعري المسدول؟ هل سوف أرتمي في حضنكَ؟ولتحترق الدّنيا،وماذا ستقول لي؟ بل ماذا سأقول لكَ؟

أنا أعرف ماذا سأقول لكَ،سأحكي لكَ عن سنين انتظاري،سأخبركَ عن جسدي المنذور لكَ،وعن شعري الذي ربّيته طويلاً من أجلكَ،وقصصي التي تنبّأت بكَ،وعن سير الرجال العاشقين لي الذين رفضتهم في انتظاركَ،سأخبركَ عن سيرة جنوني،وحكايا شطحاتي،وطرائف ذاتي، سأروي لكَ تفاصيل أحلامي بكَ قبل أن أراكَ،سأريكَ تلكم اللّوحات التي رسمتها لوجهكَ قبل أن أصدفكَ،سأحدّثكَ عن هزائمي جميعها، سأسمح لكَ بأنّ تشمّ جلدي وتلمسه،لتذق فيه نكهة الملح وماء الورد والحليب التي أحمّمه به صباح مساء كي يحافظ على جماله ونقائه ورقته،سأعترف لكَ بأنّني قادمة إليكَ بأحزان كثيرة جميعها احترقت بمجرد رؤيتكَ،سأجعلكَ تشهد على

إخلاصي لكَ حتى قبل أن أراكَ،فأنا على ميعاد معكَ،ومن لها ميعاد معكَ عليها أن تدّخر جواهرها وتاريخها من أجلكَ.

وماذا عنكَ؟ بماذا ستخبرني حينها؟ أنا لا أريد أن تخبرني بأيّ شيء،غاية فردوسي أن أكون لكَ،وتكون لي.

كان من المُقرّر لي من قبل الأصدقاء أن لا نذهب إلى الجلسة الصّباحيّة في المهرجان كي نقوم بالكثير من الفعاليات التّرويحيَة والسّياحيّة في المنطقة،ولكنّني اخترعتُ عشرات الحجج والأسباب كي نمرّ على المهرجان ولو قليلاً لعلّي أحظى برؤيتكَ ولو من بعيد.

وكاد قلبي يطير من صدري عندما رأيتُ حرسكَ في الخارج،فأدركتُ أنّكَ موجود في المكان،هان علي في لحظتها أن أقبّل الحرس الواحد تلو الآخر فرحاً بخبر وجودكَ،وشكراً لهم لأنّهم يلتفّون حولكَ في هذا الصّباح الجميل.

استأذن لي الأصدقاء مرافقكَ كي أراكَ،شعرتُ بأنّ انتظاري للإذن طال لعام كامل يقيسه البشر بدقائق.وأخيراً آن لي أن أراكَ، حملتني الأماني إليكَ،ما عدتُ أسمع حتى صوت وجيب قلبي،وشعرتُ بأنفاسي تتوقّف وجلى إكراماً للاقتراب منكَ،وأخيراً وقفتُ بين يديكَ، صافحتني بحرارة،فنسيتُ أصابعي وشهقاتي بين أنامل يدكَ،آن لي أن أستنشق رائحتكَ،أن أتفرّس في ملامحكَ،أن أقبّل كلّ شعرة من شعر رأسكَ الغزير،قلت لكَ إنّني سعيدة بلقائكَ،ومعجبة بأدائكَ اللّغويّ

المعبّر والجميل بلغتكَ،ومنعت نفسي من أن أقولَ لكَ "إنّني أعشقكَ،هل تعشقني؟هل تؤمن بالحبّ من النّظرة الأولى؟ خذني إلى حضنكَ".

رأيتني في عينيكَ،وشعرتُ بهالة نورِكَ تحتضنني بشهوة غامرة،وتطبع قبلة على فمي أنستني الافتتان كلّه،لتخلقه من جديد في ذوباني فيكَ في هذه اللَحظة.

بابتسامة منكَ،وطيفكَ يهصرني في حضنكَ اجتاحتني أمطار الدّنيا جميعها،أمطار عشقي،أمطار دموع فرحتي،أمطار شهوتي التي غزت جسدي الصّحراويّ الذي لم يعرف يوماً الأمطار،لتثبت له أنّ فيه أجمل واحة،وأغزر مياه متدفقة تنتظركَ كي تستحم فيها برجولتكَ المائيَة، وتهبها من مائكَ الخالد الذي أنتظره منذ خُلقت.

أقسم أنّكَ تعشقني كما أعشقكَ، أقسم أنّكَ في هذه اللّحظة عرّيتني كما عرّيتكَ،أقسم أنّكَ غارق في شهوتكَ كما أنا غارقة فيها منذ رأيتكَ.

دعني أطبع على فمكَ قبلة حرّى حتى نلتقي هذا اليوم في المساء في مكتبكَ كما اتفقنا،أخيراً وجدتُ حجة -ولو كانت واهية- كي أراكَ،هذه إذن فرصتي الأخيرة كي ألقاكَ،هل يمكن عندها أن أرتمي على صدركَ،وأصمتُ؟فتفهم كلّ ما تعجز كلماتي عن أن تقوله لكَ .

امرأة الفرح أنا،أتعلم ذلك يا حبيبي؟ أنا مخلوقة للفرح وبالفرح؛أحبّ الحياة،أحبّ نفسي،أحبّ المباهج،أحبّ السّماء والأرض

وما بينهما من بشر وملائكة وشياطين وخلق،والآن أنا أعشقكَ أكثر من كـلّ شـيء أحببتـه في حياتي،خـذني وأرضـي وسمـائي ومبـاهجي وعشقي،وهبني قلبكَ المتمرّد الذي مـا أتقنـت امـرأة في هـذا الكـون أن تداعبه كما يجب،أنـا امـرأة فرحـكَ الأزليّـة،هبنيك،لأهبك إيّـاي،أحبّني كثيراً،لأحبّـكَ أكثـر،كن لـي سـيداً،أكن لـك جاريـة،كن لـي سمـاء حامية،أكن لكَ أرضاً مخلصة،كن لي عالمي،أكن لكَ أقدارك.

بعيداً عنكَ أخذني الأصدقاء، صـمّموا علـى أن يطوفـوا بـي في مدينة الجبل وفي بحيرة النّور،وما دروا أنّني أريد أن أطوف الآن في قلبكَ وجسدكَ،ويكفيني أن أسعد بقربكَ على أن أوهب الدّنيا وما فيها.

قالوا لي إنّ مدينة الجبل رائعة،وأنّ البحيرة خلاّبـة،وأن السّـمك لذيذ،والجوّ ساحر،وهكذا أخبرتكّ كاذبة عندما سألتني عن انطباعي عن الزّيارة،وقالت لكَ عيناي وهما ترتجفان أمامـكَ وأنـت تعـريّ جسـدي بجمالكَ إنّني لم أرَ شيئاً سوى وجهكَ وأنفاسكَ ولمسة كفكَ تطـاردني في كلّ مكان.

دعوت متضرّعة أن تقصـر اللّحظـات كـي تفنى،فتنتهـي هـذه الجولة السّـياحيّة اللّعينـة؛لأعود إلى المهرجـان، وأراك مـن جديـد،لكن اللّحظات قد خذلتني،وطالت بلؤم وتجرّؤ على ضعفي وانكساري حتى بتّ أخشى أن أموت قبل أن ألتقيكَ،وما كنتُ لأبالي بالموت؛فأنا واثقـة من أنّ قبلة واحدة من ثغركَ الإلهيّ قادرة على أن تردّني إلى الحيـاة مـن جديد.

وأخـيراً عـدتُ إلى المهرجان،وكنـتَ في انتظـاري،أراهن علـى ذلك،فقد رأيتُ في عينيـكَ عطشـي ذاتـه،ولهفتي ذاتها،وكطفلـة صـغيرة مزهوة جلستُ إلى جانبكَ بعد أن دعوتني إلى ذلك.

وفجأة أصبحتَ إلهي،وأصبحتُ ملكة،لها صولجان وتاج وخـاتم ملـك وعبيـد وجـواهر وأرض وسمـاء وعـدد لا يحصـى مـن النّجـوم والكواكب السيّارة،ورغبات متحقّقة لا يملك القدر إلاّ أن ينـزل عنـدها إكراماً لقلبي الذي يخفق في أضـلعي بتمـرّدٍ عصـيّ علـى الكسـر. نعـم أدركتُ أنّني عاشقة لكَ قهر احتمالي وطاقتي وصـبري،إذن فلأستسـلم لقدري الجميل الذي انتقاه الله لي بسخاء خاص.

ولكن من قال إنّ النّساء لا يتعـرّين إكراماً لشـبقهنّ،وتهليلاً بلحظة العشق المشتهاة؟هنّ فقـط مـن يـدركن أنّ العشـق لا يقابـل إلاّ بعـري أبـديّ يحمـل الجـوع والاحتيـاج والحبور،كنـتُ عاريـة إلى جانبكَ،وكنتَ عارياً تمامـاً إلى جانبي،مسّـدتَ علي،لمسـتني،مال جسـدكَ نحوي، شممتـكَ علـى مهـل واشـتهاء،كنتُ أدرك أنّـني في فسـحة مـن أمري،وأنّكَ تهبني كلّ ما أشاء من فرحة بجسدكَ العـاري مثـل جسـدي العاري.

الجميع يرانا اثنين غريبين في جلسة رسميّة جادّة،ولكنكَ وأنا مـن يســـتمتع بهـــذا اللّقـــاء الأبـــديّ العاري،أحـــدنا يتحسّـــس الآخر،ويقبّله،ويشـتمّه لنعـيش تجربـة الانصـهار وحـديث الأرواح والمضاجعة في العالم الآخر وإعادة التّعـارف مـن جديـد بعـد غيـاب في

عوالم كثيرة وبعيدة،لا بدّ أنّ أحدنا عشق الآخر مئات المرات في مئات الحيوات المنصرمة.

من قال إنّني نلتقي الآن لأوّل مرة في حياتنا؟! إنّما نحن نجتمع من جديد وحسب،أنا أعرف رائحتكَ،جسدكَ،مذاق قبلتكَ،ملامح شهوتكَ،قسمات شبقكَ،وذقت ألف مرة ماء ذكورتكَ،أنا أعرفكَ،نعم أعرفكَ.فهل تتذكّرني؟

لقد تذكّرتني،بل لقد عرفتني،ولذلك تميل نحوي، تسمعني دون الآخرين،تبسم لي دون الحاضرين،تلكزني بيدكَ على سبيل الخطأ المزعوم،تشمّ رائحتي،تحتضن أناملي،وتطبع قبلة على طلاء أظافري،وتنام بين خواتم أصابعي،وتداعب بنظراتكَ كلّ ملمتر من جسدي،تحفظ حركاتي،تقبّل جلدي،تلعق خلخال قدمي،تبتلع فمي بقبلكَ الشّهوانيّة،تسمع صوت احتراقي بكَ،وتسعد بذلك،وأنا أغور في مقعدي عارية إلاّ من الشّهوة إليكَ،ورجفة في يدي هي من تفضح أمري،أترنّم بأشعار أحفظها لأهرب من ضعفي،فازداد ضعفاً،وتبلغ رجفة يدي أشدّها حتى تموء خواتمي في يدي،وأردّد من جديد في نفسي قول الشّاعر العاشق:

وإنّي لتعرونـي لـذكراكَ هـزّة ... كما انتفض العصفور بلّله القطر

تكاد يدي تندي إذا ما لمستها ... وينبتُ في أطرافها الورق الخضر

فيا حبّهُ زدني جوىً كلّ ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ

أحتجّ على أن لا فرصة لي لقراءة نصّ ما،فتأمر بحركة إله بأن أُوهب فرصة كي أقرأ،وتحسن إذ تفعل؛فأنت تعلم بحدسكَ الفطريّ أنّني أريد أن أقرأ لكَ دون البشر،أريد أن أقول لكَ ولو لمرة واحدة:أنا أحبّكَ،ولو كان ذلك على رأس الأشهاد،وفي جمع غفير من الغافلين عن رقصة العشق الأبديّة التي نرقصها سويّاً في هذا المكان،لا بدّ أن أرواح أسلافكَ الغابرين من المجوس والوثنيين قد حلّت في نفسي،فألهمتني أن أرقص عارية لنارِكَ المقدّسة،وأنا مستعدّة لهذه الرّقصة،فهل أنت مستعدّ لها؟

نظراتكَ التي تحرق ظهري وأنا أسير أمامك متجهة نحو المنصّة تقول لي إنّك مستعدّ لها تماماً،تلمسني بنظراتكَ بكلّ جرأة ،تتحسّس نزقي وفخري بكَ،وتداعب صمتي وابتعادي بمجونٍ شبق أعرف طعمه تماماً،لا تسألني كيف رأيت نظراتكَ من ظهري؟ أنا امرأة شفّافة،وذات ملكات خاصّة بما يتعلّق بكَ،والرّقصة المقدّسة ستبدأ الآن.

قرأت القصة بتحليق نحو عليائكَ،كنت سيد الكلمات،وعظيم الحضور،وإله اللّحظة،كنتُ أقرأ لكَ دون الآخرين،وكنتُ من مكاني أتابع نظراتكَ،فأراها تارة،وتغيب تارة أخرى خلف لامع زجاج عدستي نظارتكَ،فأعرف من معدن إطارهما المتوهّج اللامع أنّكَ تحترق هناك مثلي،فأرضى بقدرنا المحتوم.

"أنا أحبّكَ،نعم أنا أحبّكَ يا سيّد الجبل..."

قلتُ جملتي هذه أمام الجميع دون خجل،وردّدتها نفسي منذئذٍ دون انقطاع،ظنّوا أنّها لعبة فنيّة،أو ربما نوعاً ذكيّاً من المجاملة،أو لعلّهم قدّروا أنّها نفاق رخيص،كلّ ما ظنوا لا يعنيني ولا يكدّر صفو افتتاني بكَ،ولكنّني أعرف أنّكَ وحدكَ تعرف أنّني كنتُ أعني ما قلته،ووحدي من سمعتكَ تهمس لي بعزم فارس جبليّ لم ينم ليلة منذ خُلق:"وأنا أحبّك أكثر".

كثير من الحاضرين اجتمعوا حولي ليتعرّفوا عليّ،ولينقلوا إليّ إعجابهم،ويأخذوا صوراً تذكاريّة معي،وغادرتَ المكان،ورائحتكَ الخليط من برد الجبال ورذاذ الأمطار وحريق الاشتهاء وطلع النّخيل والعجين الخامر تزكم أنفي،وتعدني بلقاء قريب بعد ساعتين أو أقلّ،ما أسعدني إذن باللّقاء القريب المُشتهى!

مرّت لحظات الانتظار أصعب وأطول وطأة على نفسي على الرّغم من كثرة الأصدقاء والصّحفيين والإعلاميين حولي في ردهة الفندق،وأزف موعد اللّقاء،وطرت إلى موعدنا،يسبقني وجيب قلبي وشهيق أنفاسي وانقباضات أحشائي ووقع خطواتي التي تسعى إليكَ قبلي.

دلفتُ إلى مكتبكَ،وصافحتكَ من جديد،كلانا كان متعباً من هذا الصّهيل البكر في نفسينا الجائعتين حدّ التآكل،الجميع يعتقدون جميعاً أنّنا نعيش وقائع لقاء رسميّ،أنفاسنا فقط هي من تعرف أنّنا نعيش ملحمة

عناق طويل دون أجساد قادرة على التّداني أو قادرة على الاشتباك أو أعضاء قادرة على الإفصاح والاشتهاء .

جلستُ في أقرب نقطة إليكَ عكس ما يفترض ذوقاً،وهذا أفضل تحفّظٍ قدرتُ عليه،فلو طاوعتُ نفسي لجلستُ في حضنكَ،ولأغرقتُ فمي في عطر رقبتكَ،وبكيت، فأنا امرأة مضربة منذ زمن عن البكاء؛فلا أحد يستحق أن يرى دموعي المثقلة بألف قصة حزينة وخيبة،أمّا أنت فلكَ أن تشرب دموعي الثّرة،ومن غيركَ يملك أن يخلقني من جديد؟!

أتريد أن تحضنني؟ أتريد أن تضمّني طويلاً؟ أتريد أن تقبّلني؟ أتريد أن تقول لي ما لم تقله لامرأة من قبلي؟ لا تنكر،فأنا أرى ذلك كلّه في عينيكَ،وأنا في أشدّ حالات احتياجي لهبات عشقكَ ولأمنياتكَ،إذن لماذا لا تطلب خروج مرافقي في هذا اللّقاء؛لتأخذني ولو لمرة واحدة في عمرينا إلى صدركَ،لينتحر شكّكَ ويقينكَ،ولتبعثني من جديد مؤمنة بكَ دون غيركَ؟

أنت تخشاني،وأنا أخشاكَ،إذن لن يكون نصيب أحدنا من الآخر سوى النّظرات المختلسة والحديث الذي أعني كلّ كلمة فيه،وتتجاهل كلّ كلمة فيه،أقول لكَ: تزوّجني،فترفض لأنّني خلعتكَ قبل دقائق في قصة حمقاء،أقول لكَ أحبّ شعبكَ،فتهديني أغطية رؤوسهم،أقول لكَ أحبّ كلماتكَ،فتهديني كتابكَ،أقول لكَ أهديكَ خاتمي لترده إليّ في أوّل زيارة،فترفض أخذه،وتهديه إليّ من جديد،أقول لكَ إنّه يجب أن أسافر

بعيداً عنكَ،فتقول لي إنّكَ ستنزل الطّائرة لي إن فاتتني،لا أقول لك من جديد:"أهواك"،فلا تقل شيئاً.

متى ستأخذني إليكَ؟ متى سوف تسجنني في داخلكَ؟ متى ستسكنني؟ متى تكونني؟متى أكونكَ؟ عليك أن تبقيني إلى جانبكَ،فكفر لا يغفره الله لنا إن افترقنا بعد أن التقينا.

لا تبحثْ في هذه اللّحظات عن النّكات والضّحك،فقلبي الآن في أكثر موقف جدّي في حياته،وهو في مخاض عشق لا يحتمل فيه أيّ ضحك أو ترويح عن النّفس،فهو الآن في أشدّ حالات احتياجه إلى عنفكَ وسطوتكَ،أنا في هذه اللّحظة لا أريد خفة دمكَ،وعذوبة روحكَ،وجمال حديثكَ،وسحر معشركَ،فأنا أعرف أنّكَ تحمل هذه الصّفات وغيرها الكثير من الصّفات الآسرة.

أنا أريد في هذه اللّحظة أن تكون رجل غابة متوحّش بربريّ،لا تعرف لغة أو منطقاً أو مقدّمات،أريد أن تعرّيني دون أن تنبس بكلمة،لتحتلّني إلى الأبد.

ما قيمة الأجساد العاشقة إن لم تكن أرضاً محتلّة موسميّة تعطي ثمارها وماءها وشمسها واحتراقها في المواسم جميعها،أنا امرأة المواسم،فذقني لتعرف كيف تجتمع في امرأة واحدة بربريّة الغابات وهمجيّة الكهوف وتوحّش الجنس وعذوبة الاشتهاء وأساطير الميلاد الجديد وحكايا البعث والقرابين.

تعرّ لي،فلا امرأة غيري في الكون تنتظر توّحشكَ وعرّيكَ وجموحكَ مثلي،أنا خُلقت بعناية إلهيَة لأكون امرأتكَ التي تجمع لكَ النّساء جميعهن في لحظة مداهمة،أنا امرأة بامتياز،وفنانة بمهارة،وخادمة بالفطرة،وجارية بالسّليقة،وقدّيسة بالعفاف،وماجنة بالكلمة،وطاهرة بالجسد،وساديّة بالموهبة،ومؤمنة بالقلب،وكافرة بالشّك،وثائرة بالسّلوك،وداجنة بالعطف،أنا النساء كلّهنّ دفعة واحدة،قبّلني،لتقبّل نساء العالمين،فأنا سأرى الله في ثغركَ.

أخيراً تقترح حلّ تمديد زيارتي لمدينتكَ الجبليّة،تبدو فكرة رائعة،بل عادلة لقلبينا،ولكنّني لا أستطيع البقاء،أتعرف لماذا؟ لأنّني عاشقة،والعاشقة الحقّ تستجيب دائماً لنفير الرّحيل في نفسها،وتهرب إن لم تكن تملك البقاء الأبديّ،إذن ليكن السّفر والبعاد،هل ستحتمل ذلكَ؟ أنا سأحتمله مادمت صامتاً أيّها الفارس الفضيّ العتيد الذي لا يملك أن يقترب مني لخطوة إضافية فضلاً عن عجزه عن أن يأخذني إليه،ليطبع على ثغري قبلته الحرّى لتطفئه وتطفئني،وربما تشعل كلينا للأبد.

تقدّم العنب إليّ،وتقرّبه مني في طبق دائريّ الاشتهاء والانتظار مثل عشقي الفنييقيّ الموروث بالدّموع والحكايا ونسل الجنيّات وقصص الدّماء وزغاريد الشّهداء.كيف عرفتَ يا ملاكي أنّني أشتهي العنب منذ هبطت مدينتكَ؟ وأنّني بحثتُ عنه اليوم كثيراً في الأسواق؟ ألم أقل لكَ إنّني متأكّدة من أنّك تسمع حديث نفسي لكَ.

آكل العنب الحبّة تلو الأخرى،وأغضّ طرفي بفشل عـن مراقبتـكَ باستحياء وأنت تأكل الجوّافة بطريقة مشهيّة،أتساءل إن كنتَ قادراً على أن تقضمني بهذه الطّريقة العذبة التي تقضم الجوّافة بها؟إذن لسعد كلانا لو كنت تستطيع ذلك،فأنا أكثر نضجاً وحلاوة وماء منها،والتّجربة خير برهان.

ليتني قطتك المدلّلة في هـذه اللّحظـة لألعـق أناملـك المبتلّـة بمـاء الجوّافة،لأتمسّح بقدميكَ،وأضع رأسي في حضنكَ دون رقيـب أو عـاذل أو حسود.

يبرق في خاطري بارق مجنون،أتمنّى أن أغنّي في هذه اللّحظة أغنية لنجـاة الصّـغيرة اسمهـا" لا تنتقـد خجلـي الشّـديد"،وأغنّيهـا في نفسـي إليكَ،فهل سمعتها؟هل سمعتني أشدو لكَ قائلة:

لا تنتقد خجلي الشّديد؛ فإنّني بسيطة جـداً،وأنت خبير يا سيّد الكلمـات،هبني فرصـة حتـى يـذاكر درسَهُ العصفورُ خذني بكلّ بساطتي وطفولتي،أنـا لم أزل أخطو وأنت تطير من أين تأتي بالفصـاحة كلّها؟وأنا يتوه على فمي التّعبير! أنا في الهـوى لا حول لي ولا قوة؛إنّ الحبّ بطبعه مكسوريا هادئ الأعصاب إنّكَ ثابت،وأنا على ذاتي أدور الأرض تحتي دائماً محروقة،والأرض تحتكَ مخمـل وحريـر فـرق كـبير بيننـا يـا سـيّدي؛ فأنـا محافظـة،وأنت

جسور، وأنا مقيّدة وأنت تطير،وأنا مجهولة
جداً،وأنت شهيرلا تنتقد خجلي الشّديد.

إذن آن أوان الرّحيل؟ أصافحكَ،وأقبّل روحكَ بعمق،وأطعمكَ إحدى دمعاتي،وأغيب سائلة الله أن تأمرني بالتّوقّف وعدم الرّحيل،ولكنّكَ لا تفعل،فأصمتُ انتقاماً من صمتكَ،وأغيب في ظلام المساء.

أعود مبكرة إلى حجرتي في الفندق،أتساءل في جهل طفوليّ إن كنت تعرف أنّني أنزل في فندق الجبل وأنّ رقم غرفتي هو ٤٢٠،أضحك من سذاجتي،وألعن صمتكَ،وأعزّي نفسي التي تدرك أنّكَ لن تجيء إليّ أبداً،أغتسل،وأتعرّى،وأتعطّر،وأستعدّ للبوح لكَ كي لا أموت قهراً وغيظاً.

أشرع أكتب لكَ هذه الرّسالة المجنونة التي لن تقرأها أبداً،ولن تعرف أنّ امرأة عاشقة لكَ كتبتها لكَ عارية مضمّخة بعطر الشّهوة،ومعمّدة بماء عشقكَ،ومقتولة من صمتكَ،ومنتظرة بشوق هديتكَ التي قيل لكَ إنّك أمرت لي بها،أتمنّى من كلّ قلبي أن لا تكون نقوداً تشعرني بأنّني أتقاضى إعاشة طارئة من السّلطان،لا هديّة من رجل أعشقه،وأكاد أجزم بأنّه عشقني قهر أنفه.

ليت هديّتكَ تكون قلادة تشكّ فيها قُبلكَ،لتطوّق بها رقبتي طوال الوقت،ليتها تكون خاتماً تأسر لي فيه قلبكَ الماسيّ،وتهبني إيّاه بنبل

الفرسان الباذلين،ليتها تكون سواراً تجمع فيه شهقاتنا وتنهداتنا،وتجمعها إلى بعض في معصمي لتتنزّى في وريدي،وتسري في دمائي كما يجري حبّكَ الآن في داخلي،ليتها تكون قرطاً تعلّق لي فيه اشتهاءك ليل نهار،ليتها لا تكون ذلك كلّه،وتتعاظم لتكون قبلة لي منكَ مهما كلّفتنا،فكيف أسافر دون أن أحظى بقبلتكَ،وتحظى بقبلتي؟!!

جاء الصّباح بسرعة على عكس الأزمان منذ أن قابلتكَ،جاء وأنا لا أزال أكتب رسالتي إليكَ،فهي عاجلة،وإن لن تصلكَ،أطالع عرّيي مرّة أخيرة قبل أن أرتدي ملابسي لأتجه إلى المطار،هذا الصّباح لن أستحمّ كعادتي كي لا أغسل يدي اليمنى المحظوظة التي صافحتكَ البارحة لأربع مرّات،هي الشّاهدة الوحيدة على رقصة جسدينا المجوسيّة،هي وحدها من لمست جسدكَ،هي الوحيدة التي ذاقت دفئكَ،وأحسّتْ بنبضكَ،طوبى لها من يد قبّلت أديمكَ،سأحمل يدي إلى موطني غير مغسولة،بل مقدّسة بلمسكَ،أمّا جسدي المسكين فلا يحمل منكَ أيّ ذكرى سوى سهاده وسهره وأرقه طوال ليلتين.

كيف ستعتذر لجسدي المسلوب؟عليكَ أن تسترضيه في يوم ما بمليون قبلة ليغفر لكَ تجاهلكَ لاستغاثته منكَ بكَ.

واقترب موعد سفري،وأعطانا القدر فرصة أخيرة من أجل التّراجع عن صمتنا الآثم،ووصلتُ متأخرة إلى المطار بسبب الزّحمة ونقاط التُفتيش المتكالبة،وكانت فرصتنا الأخيرة لسفري أو للقاء من

جديد،فاخترتَ بكلّ نبل أن تساعدني،وأن تحقّق لي طلبي بالسّفر ولو كان ذلك ضدّ عشقنا،وضد هوانا.

حلّقت الطائرة بعيداً.أنا الآن على ارتفاع ٣٠ ألف قدم،وحين أكون على هذا الارتفاع أجدني في أكثر حالاتي صدقاً لاسيما أنّ الغيوم في هذا اليوم في غاية جمالها،وهي تستلقي تحت الطّائرة باستسلام قطة شاميّة لحضن طفلة بضفائر ذهبيّة.

عندي ألف قصة أحكيها لكَ،هل تكفي غيمة عملاقة كي أسجّل لكَ ملحمة مشاعري؟ هل تكفي سماء كي أهرب منكَ؟هل تكفي أرض كي تبتلعني بعيداً عنكَ؟هل يقدر إله على أن ينسيني إيّاكَ؟ الأسئلة جميعها من هذه الارتفاع تهوي لتنسحق في المحال،أنا الآن ملكة بكَ.

أعود وأكمل كتابة رسالتي إليكَ،وأكتب فيها آخر كلماتي لكَ:"أعشقكَ،أعشقكَ،أعشقكَ"،أطويها،وأفكّر في أن أمزّقها،وأن أنثر فتاتها فوق الغيوم،ولكن لا نوافذ تفتح ولا أبواب الآن،أطويها،وأدسّها في حقيبتي،وأغمض عيني لأراكَ أقرب،فأنا في طريقي إلى موطني،لأعود ولا أعود،وفي داخلي تصدح فيروز إذا تقول في أغنيتها"أهواكَ":

أهواكَ...أهواكَ بلا أمل

وعيونكَ تبسم لي

وورودكَ تغريني بشهيَات القُبل

أهواكَ ولي قلب بغرامكَ يلتهب

تدنيه فيقترب

تقصيه فيغترب

في الظّلمة يكتئب

ويهدهده التّعب

فيذوب وينسكب كالدّمع من المقل

أهواكَ،أهواكَ بلا أمل

في السّهرة أنتظر،ويطول بي السّهر

فيساءلني القمر،يا حلوة ما الخبر؟

فأجيبه والقلب قد تيّمه الحبّ:يا بدر أنا السّبب؛أحببتُ بلا أمل!!!

يا إلهي كم أنا ضائعة الآن يا سيّد الجبل...

الاستغوار في الجحيم[١٣]

لو علم أنّني سأكتب قصّته الحزينة لابتسم بامتدادٍ،ولقال لي دون شكّ جملته المعهودة التي اعتاد على أن يختم بها حديثه اللاهي الضّاحك:" يا لسخرية القدر"! ثم يدرج في ضحكات متتالية كقرقعة ماء ينزلق في مزراب قديم صدئ،فيضحك من حوله تواطئاً مع ضحكاته التي تورّط الجميع في حمى الحبور،وكنتُ عندها سأصمّم بحكم سطوتي عليه–من باب مداعبته- على أن يعبّر عن تجربته الشّخصيّة على شكل قصة أو على شكل مقالة يعرضها على جمهور المنتسبين لدورة مهارات التّواصل التي ينتسب لها.

وعندها كان سيفاوضني على أن يجعل حديثة عن الاستغوار بدل الحديث عن تجربته الشّخصيّة؛بحجّة أنّه لا يجيد الحكي،وهو يقصد بالحكي كلّ ما يتعلّق بمهارة توظيف اللّغة في التعّبير عن الذّات والآخر والحاجات والأفكار والرؤى،وبالطّبع كنتُ سأرفض أن يحدّثنا عن هذا الأمر؛لأنّه حدّثنا عنه سابقاً كما حدّث كلّ من يعرف عنه مليّاً وتكراراً،حتى مللنا الحديث عنه،وارتبط في ذهننا به،حتى ما عاد يُذكر لفظ استغوار حتى أضحك،ويضحك زملاؤه في الدّورة،ونقول بنبرة كوميديّة تمثيليّة في صوت واحد :" إنّه أجمل علم في الدّنيا"،ونحن نبغي من

[١٣] - الاستغوار هو علم يبحث في اكتشاف الكهوف والمغارات والتّنقيب عنها.

ذلك أن نكرّر جملة فراس أبو جبل نكاية به،فنغيظه بذلك،وندفعه من جديد للاستغراق في ضحكه المجلجل.

لكنّني الآن سأكون القيّمة الأمينة على بوابة حزنه دون أن يطلب ذلك منّي ،فوحدي من يجرؤ على أن يعرّي وجهه الكليم للعالم كلّه دون أشعر بتأنيب الضّمير إزاء ذلك؛فأنا أعرف أنّ قلبه الطّيب يوافق على كلّ ما يمكن أن ينقذ غيره من الانزلاق في ذلك الجحيم الذي ابتلعه وصلاه حتى الموت،وهو مجبر على أن يصمت عن الكلام المباح كلّه حتى عن موضوعه المحبّب الوحيد،وهو الاستغوار، بسلطة الموت الذي ألجمه للأبد،وحبسه في عالمه الأسود القبيح حيث لا ضحكات ولا مهارة تحدّث ولا كهوف و لا مغارات خلا الانزلاق في الظّلام والعدم!

مغارات كثيرة تقبع في أماكن شتى على امتداد الجبال والغور هي الشّاهدة السّريّة الصّامتة على حقيقة أنّ فراس أبو جبل كان هنا في زمن ما،وعلى أنّه كان بسمة طاهرة في هذا المكان،وهو يدخل حجرة المحاضرات فيه،فيتحلّق حوله المنتسبون للدّورة ليسمعوا آخر مغامراته في الاستغوار داخلين معه في لعبة استيهام لذيذة يخلط فيها بحرفيّة نادرة بين ما قام به من مغامرات،وما يزعم كذباً أنّه قد قام بها،ولا يتفرّقون من حوله إلاّ مكرهين عندما يذكّرهم دخولي إلى القاعة بإزوف موعد المحاضرة ،فينفضّوا مكرهين متضاحكين والأكواب البلاستيكيّة ذات المشاريب العطريّة السّاخنة تأبى أن تفارق أكفّهم.

فـراس أبـو جبـل لم يعشـق في حياتـه شـيئاً سـوى الكهـوف والمغارات،حتى أظنّ أنّ هذا العشق قد شغله عن كلّ شـاغل آخر،فمـا كانت له تجارب نسائيّة خاصّة،ولم يكن منخرطاً في أيّ نشاط شـبابيّ أو سـلوك جمعـيّ،ولم تكـن عنـده موهبـة غـير استكشـاف المغـارات والكهوف،ولم يكـن يجـد الوقـت الكـافي لكـي يهـتمّ بصـحته وطعامـه ورياضته، فيتخلّص من عشرات الأرطال من الدّهون التي تتكدّس تحت جلده،وتصبغ بشرته بالحمرة البادية،وتلبسه بناطيل كتّانيّـة فضفاضـة لا تخفي طبقات اللّحم المتهدّل مـن بطنـه تحـت أعلـى فخذيه،وتمنعـه مـن الحركة بحريّة ونشاط،ولكنّه على الرّغم من ذلك كان شابّاً شهيراً بمواهبه الاسـتغواريّة النّادرة،ولطالمـا نظّـم رحـلات شـبابيّة خاصّـة إلى الجبـال ليطلعهم على الكهوف التي يصمّم على أنّه هو من اكتشفها،وفضّ سـرّ صمتها،وصـال وجـال فيهـا دون وجـل،ثم رسـم خرائطهـا الدّاخليّـة والخارجيّة بنفسه،وسواء صدق في هذا المزعم أم كذب- وأخال أنّه كان صادقاً فيه- فقد كان موسـوعة حقيقيّـة في هـذا الشّـأن،ويملك خـرائط مدهشة يسعد أن يشرح ما فيها لأيّ سائل ولو اسـتغرق ذلـك سـاعات وساعات من التّفصيل والشّرح.

كنتُ أؤمّل نفسي دائماً بأن أحظى بالوقـت الكـافي لكـي أرافقـه والأصدقاء في واحدة من مغامراته في الكهوف التي كان يـدعونني إليهـا باهتمام واضح بحضوري،ولكنّني في كلّ مرّة كنـتُ أتهـرّب مـن قبـول الدّعوة بحجج شتّى دون أن أعترف لـه بـأنّ عنـدي عقـدة خـوف مـن

الأماكن الضّيقة والمظلمة والأرضيّة المغلقة،ولذلك لن أستطيع أبداً أن ألبّي دعوته في يوم من الأيام،ولكنّني كنتُ أؤثر الكذب على أن يعرف حقيقة خوفي الذي لا يليق بي أن أظهره أمام طلبتي في دورات مهارات التّواصل.

الآن أصبحت أشدّ خوفاً من الكهوف والمغارات لأنّني أراها جميعاً مسكونة بشبح فراس الذي سقط في كهف جهنميّ اسمه المخدّرات،وأحتضر فيه حتى مات وحيداً مهزوماً موجوعاً،جميعنا حاولنا أن نمدّ الأيادي والقلوب له علّنا نسحبه من هذا الغور الجحيميّ،لكن الوقت كان قد تأخّر على ذلك،وكانت المخدّرات اليد الجهنميّة الشّريرة التي فاقتنا قوّة،وجذبته إليها دون مفرّ أو منقذ.

حكايته مع المخدّرات رواها لي وهو على فراش الموت في مستشفى العلاج من الإدمان،لعلّها كانت أوّل قصّة وآخر واحدة يرويها في حياته عن شيء غير الكهوف والمغارات التي ظلّ يحبّها حتى وهو يكره نفسه،لأوّل مرّة يجيد أن يروي قصة،ولو لم أكن مستغرقة في البكاء،ولو كانت روحي المرحة لا تئنّ في تلك اللّحظة،لصفّقت له،وداعبته قائلة:" أحسنت،أخيراً أنت تجيد فنّ التّحدّث!"

لكنّه لم يكن الرّاوي لهذه القصّة،بل كان الألم من يرويها لي،وصوت حشرجة بكاء صديقه اللّدود عمر السّالم يطغى على هسيس صوت فراس الذي بات متهدّلاً ضعيفاً مقيّداً معه في جسد هزيل منكود لا يشبه أبداً جسده الكبير الذي كان يفيض عليه بمهابة تتداعى سريعاً

أمام ضحكاته المتّسعة التي تشفّ عمّا في قلبه من طيبة،وعمّا في روحه من جمال وصفاء.

قال فراس لي بحسرة جليلة:"كان يجب أن أكون أشهر عالم استغوار في العالم بل في التّاريخ كلّه،أعرف أماكن كهوف ومغارات يمكن أن تكون بمثابة اكتشافات خطيرة في هذا الشّأن،كنتُ سأكون المكتشف السّباق والأمهر في هذا الشّأن،ولكن انظري أين أصبحت الآن! قالوا لي إنّني سأشفى من الإدمان لو التزمتُ بالعلاج،ولكنّني أشعر بأنّهم كاذبون،الموت ينتظرني في مكان قريب،وأنا أخشاه،وأجزع من عتمة القبور".

حاولت أن أستجمع قوة لا أملكها أساساً في مثل هذه المواقف،وقلتُ له:" بل ستُشفى من الإدمان،وتعيش عمراً مديداً سعيداً،وتصبح أهم عالم استغوار في العالم،وقبل ذلك عليك أن تهجر المخدّرات،وتعود للانخراط في الحياة.هيا يا كسول تشجّع وكفاكَ تهرّباً من الدّراسة".

حاولتُ أن أضفي على جملتي الأخيرة بعض المرح لتبدو مضحكة مسعدة،ولكنّني فشلتُ في ذلك،نظر فراس إليّ بعينين تطوّقهما هالات زرقاء منتفخة،وسألني على غير توقّع:"هل يجوز أن نجمع كلمة مغارة على مغر؟"

لم أحاول الابتسام هذه المرّة،وقلت له بصرامة مصنوعة بغير مهارة:"عليك أن تتشافى،وتعرف ذلك من معجم لسان العرب لابن منظور الإفريقيّ".

عاد وصمت،ثم قال لي بندمٍ وحزن شفيف: "لم أكن أريد التورّط في هذا الأمر،ولكن الأحداث قادتني إلى عالم المخدّرات بطريقة خبيثة جدّاً".

سألته بفضول: "هل كانوا هم بعض الأصدقاء من قادوك إلى المخدرات؟"

أومأ برأسه نافياً،وقال بضعف كسير:" بل كانت الفول السّودانيّ من قادني إليه!"

-"الفول السّودانيّ! كيف؟" سألته بتعجّب.

-"أنا أحبّ أن آكل الفول السّودانيّ محمّصاً بالشّطة،اعتدت أن أشتريه ساخناً من بائع متجوّل يعسكر في بوابة مجمّع الحافلات،وفجأة اختفى ذلك البائع،ثم ظهر آخر مختفياً وراء هذه الفول السّوداني لترويج المخدرات والحبوب المهلوسة في صفوف الشّباب الذين يمرّون بالمجمّع،كان مروجاً مشهوراً بينهم،يشترون منه حاجتهم من المخدرات التي يدسّها في القرطاس الورقيّ للفول السّودانيّ.بدأت تجربتي معه من قرطاس فول سودانيّ دعاني صديقي المدمن عليه،لقد زيّن لي أن أجرّب قرص المخدرات الذي كان يقبع بين حبّات الفول السّودانيّ،رفضتُ ذلك بإصرار في بادئ الأمر،ولكن رفضي تحوّل إلى فضول رخو أمام جماعة من الأصدقاء المدمنين في بيت ريفيّ انتبذنا فيه جميعاً بغية السّهر والتّعاطي.

المرّة الأولى كانت مرهقة،ولكن مدهشة،لم يكن من الصّعب عليّ أن تتالي مرّات التّجريب،وسريعاً ما أصبحتُ مدمناً على الفول السّودانيّ،ولكن بشكل آخر.فجأة أصبح العالم رهيباً،أصبح ضيّقاً لم أعد أستطع التّمييز بين تخومه،غدا العالم دون خرائط في عيني،وهذا أبشع شعورٍ يمكن أن ينتاب شخصاً مثلي لا يفهم الدّنيا إلاّ بمنطق الخرائط.

توفير المال لأجل شراء حاجتي من المخدرات بعد إخفاء مظاهرها البادية عليّ كان الأمر الأصعب في هذا الشّأن.لقد فعلتُ كلّ شيء من أجل هذا الأمر،كذبتُ على أبي،سرقت بعض المصاغ الذّهبيّ من أمي،اختلست مدّخر مصروف أختي الصّغيرة.الجميع تخلّى عنّي في شأن توفير المال لشراء المخدّرات،حتى الأصدقاء الذين قادوني إلى هذا الدّرب قد تخلّوا عنّي،وتركوني لقمة صائغة لوحش مفترس لا يرحم اسمه الإدمان.

لقد فعلت أشياء رهيبة لأجل توفير المال لشراء المخدّرات،حتى قّبض عليّ أخيراً في عملية سطو على متجر صرافة،ثم أودعت في هذه المستشفى لأجل العلاج من الإدمان قبل محاكمتي على السّطو،ولكن أبشع ما قمت به لأجل توفير المال لشراء المخدّرات كان مقايضة خرائط كهوفي بحبّة مخدرات واحدة،أخذها مروّج مخدّرات مدمن مثلي مقابل حبّة مخدّرات واحدة لا غير،تخيّلوا ما أبشع هذا الأمر،لقد قايضت كنزي الوحيد بجرعة من جرعات الموت.كم أشتاق إلى خرائطي الجميلة التي قضيتُ سنيناً في رسمها!

وغرب فراس في بكاء يعلوه شهيق وزفير مريران،وما عاد يقوى على نطق أيّ حرف بُعيد ما قال،في حين شرع صديقه عمر يروي لي باقي تفاصيل القصّة كما سمعها من صديقه بحزن بالغ،ويداه تذهبان وتجيئان أمام عيني بإشارات إيمائيّة مرافقة للحديث،وأدركت لأوّل مرّة كم بدا جسد فراس هزيلاً ضعيفاً متآكلاً مقارنة بجسد صديقه عمر الذي كان من السّهل عليه في الماضي أن يحمله،وأن يركض به حتى آخر المدينة،فجأة تغيّر حجما جسديهما؛ فغدا جسد عمر ممتدّاً لاحم الأعضاء وافر الصّحة على الرّغم من ضآلة جسده مقارنة بجسد فراس الذي يتلخّص الآن في عظام صدر نافرة،وساقين نحيلتين كساقي نعامة،وفي جمجمة أبرز ما فيها عينان زائغتان في الهلوسات والألم والحزن.

أدركت حينها أنّ فراس يحتضر،ولا يتماثل للشّفاء،وزكمت أنفي رائحة الموت العفنة،وربضت على صدري،وشعرته قريباً مكشّراً عن نابيه الزّرقاوين القذرين،فاستأذنت وهربت من المكان دون أن أعرف باقي تفاصيل قصته الحزينة.

وعندما غالبت جبن نفسي،وعدت بعد يومين إلى المستشفى لزيارة فراس كان الوقت قد فات على ذلك؛فقد هرب واختفى دون أن يعرف أحد وجهته،كانت أمه ووالده وبعض أقاربه في هرج ومرج في المستشفى،ولم أفهم من كلام أمّه الباكية حينئذٍ إلاّ أنّ ابنها فراس كان

يحبّني جدّاً،ويعشق محاضرتي في دورة مهارات التّواصل،هو من طلب أن يخبروني بمرضه كي أزوره.

تلك اللّيلة أخبرني عمر بكامل تفاصيل معاناة فراس في هذا الأتون الجهنميّ الذي اسمه المخدّرات،لقد حاول أكثر من مرّة أن يخرج من كهفه الأسود الشّرير،ولكنّه كان قد فقد للأبد خرائط الخروج منه،وهو من اعتاد على أن يسرح ويمرح في الكهوف جميعها،والآن قد بات أسير أصغرها وأحقرها،فهام في وجهه وحيداً مريضاً دون دليل في كهف المخدّرات الذي لا يعرف طريقاً للخروج منه،أو يدرك نجاة منه.

حدّثني والدا فراس عنه ابناً،فهو من كان مشجباً لأحلامهما الصّغيرة المتلخّصة في ابن بارٍ يتباهيان بشهادة الهندسة التي كان من المفترض أن يحصل عليها بعد أقل من ثلاثة فصول دراسّية،ومن ثم يحملهما في كبرهما ليوصلهما كريمين إلى قبريهما،أحلامهما كانت صغيرة،ولكّنها أكبر من التّحقّق بسبب المخدّرات التي سرقت ابنهما البكر،وابتلعت أحلامهما،ولفظتهما موتاً وخراباً وندماً وفضيحة.

يومان من البحث الموصول ووجدت الشّرطة فراساً ميّتاً عند سفح جبل بعد أن أخذ جرعة كبيرة من المخدرات،لم تعتدِ على جثته أيّ من حيوانات الجبل أو طيورها الجارحة؛فلا بدّ أنّها صانته وفاء لصحبة طويلة جمعتها به أيّام كان ملك الجبل،وسيّد الكهوف،ولكنّ التعفّن هاجم جثّته سريعاً،وجعل بطنه ينتفخ كبالون يحاكي قمّة الجبل الذي كان متجهاً إليه،لم يكن من الصّعب أن نخمّن جميعاً سبب لجوئه إلى الجبل

في لحظاته الأخيرة،لا بدّ أنّه كان يبغي أن يموت في مغارة سريّة فيه؛فقد ظلّت عشقه والمخلصة له حتى آخر لحظة من حياته،لكن الموت أدركه قبل أن يرتمي في حضن حبيبته المغارة،لتكون رائحتها وحجارتها الصّلداء كفنه ونعشه.

رحل فراس،وتيتّمت مغارته وكهوفه،وظلّ صوته يصدح في داخلي وهو يقول جملته الشّهيرة :"يا لسخرية القدر!"

جريمة كتابة

ليس لها سابقة في عالم الكتابة،ولا شيء يدلّ على أنّها كانت تتعاطى حرفة القلم والخيال والسّرد في يوم من حياتها،كلّ ما عاينته من خبرات-كما هو موجود في سيرة حياتها في هذا الملفّ- لا يتعدّى أنّها كانت تعمل كاتبة في مؤسّسة حسابات قديمة،وبعد سنين من العمل وصلت إلى رتبة رئيسة ديوان بحكم التّراتب الزّمني لا أكثر،وبخلاف ذلك فهي امرأة رتيبة حسنة النّية والسّيرة والسّلوك والمظهر،هي تماماً كالنّعناع المنزليّ بلا أهداب أو وبر ورقيّ أو رائحة نفّاذة،كلّ ما في حياتها يدعوها إلى أن تسير نحو تقاعد بارد تقليديّ في انتظار الموت الذي يأتي على مهله وعلى جرعات نزقة، كما هو شأنه مع معظم سكّان هذا الكوكب من البشر،أمّا هذا الجنون الغريب الذي تعانيه،فهو محض طفرة سلوكيّة تحتاج إلى مزيد من الدّراسة.

زمّ الطّبيب شفتيه على غليونه الذي يوهم نفسه بأنّه يشدّ نفساً عميقاً منه،متناسياً أنّه لم يشعله ولا لمرّة واحدة في حياته،وإنّما هو مدخّن شره من تبغٍ نائم في غليون لا يعرف أواراً أو اشتعالاً؛فهو مشجّع قوي للتّدخين الوهميّ،ثم قال مملياً ما يقول على مساعده الطّبيب النّفسيّ المتمرّن:" هذه حالة جنون نادرة تنحصر في أنّ المريضة مصابة بجنون يرتبط بما تكتب من قصص،بالتّحديد هو مرتبط بقدرتها العجيبة على أن تصوغ نهايات حقيقيّة للأحداث التي تعرفها عن النّاس،كلّ إنسان

يحدّثها بقصة ما،ولو كانت قصته الشّخصية،تستطيع أن تكملها له،والغريب أنّ ما تكتبه من أحداث استشرافيّة يصبح حقيقة!"

-"وما الغريب في ذلك؟" سأل الطبيب النّفسيّ المتمرّن.

أجاب الطّبيب النّفسيّ المسؤول عن علاج الحالة بعد أن برم شفتيه،وأخذ نفساً أعمق من سالفه الذي أخذه من وهم أوار تبغ غليونه:"الغريب في ذلك أنّ كثيراً من قصصها الاستشرافيّة أو لنقل التّنبؤيّة ارتبطت بنهايات مأساويّة جرميّة،وهذا جعلها المتهمة الأوّلى في تلك الجرائم،وعندما أنكرت علاقتها بها،وأصرّت على أنّها مجرد كاتبة قصص بارعة تجيد أن تتنبّأ بالمستقبل الحدثيّ لأبطال قصصها الحقيقيين،أحالتها المحكمة إلى مستشفى الأمراض العقليّة للتّحقق من قواها العقليّة والنّفسيّة،لاسيما أن أجهزة التّحقيق الأمنيّة قد فشلت في أن تدينها بالجرم المشهود،واكتفت بأن تجعلها في خانة ضنين يحتاج أدلة نفي أو إثبات ليُبرّأ أو يُجرّم".

-" وهل هي كاتبة قصّة مشهورة لتملك هذه الملكة الفذّة؟" سأل الطّبيب النّفسيّ المتمرّن بفضول.

أومأ الطّبيب النّفسي المسؤول بالنّفي،ثم أتبع الإيماءة بأخرى ممطوطة،ثم عبس ثم أردف قائلاً:" لم تكتب كلمة واحدة قبل أن تصادف بهذا الجنون القصصيّ الدّمويّ.هذا ما تقوله سيرتها وشهادة الشّهود".

-" ومن تقصد بالشّهود؟"

- " أقصد زوجها الذي طلّقته بعد أن نبأتها إحدى قصصها بأنّه يخونها مع جارتهم ،وأمها المتشافية من مرض السّرطان بسبب سرد قصص ابنتها عليها كما تزعمان،وجارتها التي عرفت أنّ ابنها قد توفى منذ عامين قتيلاً على يدي عشيقته الخائنة،ومن حارس عمارتها الذي أخبرته قبل أسبوع بأنّ ابنه سوف تدهسه سيّارة وهو في طريقه إلى جامعته،وأنّ السّائق المجرم سوف يولّي هارباً من مكان الحادث،وقد أعطته مسبقاً رقم السّيارة الهاربة ليبلّغ عنها الجهات الأمنيّة المسؤولة في حين وقعت الجريمة،وهذا ما كان فعلاً".

- " إذن هي عرّافة" قال الطّبيب المتمرّن كمن يقترح تسمية لحالتها.

"لا ليست كذلك،فهي تنكر ذلك،وتصمّم على أن تسمّي نفسها قاصّة،وتمضي أوقاتها في غرفتها المعزولة في المستشفى تكتب القصص لمن تقابلهم،ولا تعبأ أبداً بوضعها تحت مراقبة نفسيّة مشدّدة،وكلما كانت في جلسة نفسيّة تقيميية أو اختباريّة أجابت عن أسئلتها وكأنّها في لعبة ذكاء أو مغامرة مسابقات،لا كمريضة تحت المراقبة النّفسيّة والعقليّة بغية تجريمها وإرسالها إلى السّجن أو إلزامها بالبقاء في مستشفى الأمراض النّفسيّة للعلاج في أحسن الأحوال".

- " وما دوري في هذه الحالة الغريبة؟" سأل الطّبيب النّفسيّ المتمرّن.

- " عليك أن تتولّى الحالة بنفسك وتتابعها وتكتب تقريرك الشّخصيّ عنها،وأنا سأتولّى الإشراف على تقريركَ الذي سيؤهلكَ -بكلّ تأكيد- للنّجاح بتجاوز فترة التّمرين في المستشفى".

- " سأفعل ما بوسعي لمساعدتها بسرور كامل" .قال الطّبيب النّفسيّ بحماس مصنوع،وهو يمدّ يده اليمنى لتناول الملفّ من الطّبيب النّفسيّ المسؤول،ويهمّ لينتصب على قدميّه ليغادر الغرفة.

عكف الطّبيب النّفسيّ المتمرّن ليلته على دراسة ملفّ المريضة الكاتبة أو الكاتبة المريضة،ولم يخلص إلاّ إلى ضرورة أن يقابل تلك الحالة في الصّباح الباكر،لعلّه يعرف نقطة يتمسّك بها ليدلف منها إلى عوالم تلك المرأة اللّغز،ولذلك ما كادت خيوط الشّمس تبادر أصبوحة اليوم التّالي حتى كان متّخذاً مقعده أمام مريضته الجديدة التي بدت أجمل وأهدأ وأشدّ سذاجة من أن تكون كاتبة قصّة،كانت تشبه عانساً حلوة لم يضنها حمل،ولم يهصرها جنس،ولم تجهدها مسؤوليّات أسريّة أيّاً كان نوعها،وإنّما غافلتها بعض شعيرات بيضاء زادت سمرتها دكنة،وجاذبيتها حضوراً،أمّا أن تكون بأنامل ذهبيّة ومخيال خلاقٍ موصول مع عوالم الغيب،فهذا أمر لا يتناسب مع حركاتها العفويّة الطّفوليّة،ولا مع ابتسامتها العميقة،ولا مع خصرها الأهيف الشّهي الذي يعد بموسيقى وطبول وأنغام وشهقات وحجل واهتزاز وتثنّي،ولكن لا يمكن أن يخبّأ فيه حكايا وقصصاً تثقل دقّته المتناهيّة الاتساق.

كان يعدّ نفسه لأن يحاصرها بأسئلة طوفانيّة يؤمّل نفسه بأن تحمله إلى أعماقها،أو أن تفيض بأعماقها عليه،ولكنّه وجدها تسأله بنبرة صارمة لا يمكن أن يفلت من وقعها:"ما اسمكَ؟".

- "مراد،اسمي مراد كحلان". أجابها كطفلٍ يجيب معلمته بكلّ أدب وهدوء.

ابتسمت لشيء غير إجابته،وتناولت قلماً كان يداعبه بإبهامه،وشرعت تكتب بضع جمل على منديل ورقيّ كان مندوحاً على الطّاولة،ولمّا انتهت ممّا كانت تكتب،أعادت القلم إلى حيث كان،ومدّت المنديل الورقيّ أمامه على طاولته،فقرأ فيه على عجل فضوليّ قلق:"لن يستطيع الطّبيب مراد كحلان أن يكمل علاجه لمريضته؛لأنّ قدمه ستُكسر هذه المساء،وسيظلّ حبيس الجبس في بيته لمدّة شهرين".

ابتسم الطّبيب النّفسيّ ممّا قرأ مستهزئاً،وهو يكابر قلقاً يزعق في أعماقه،وقال لها:"بل سأعود غداً لنكمل هذا اللّقاء".وغادر على عجل وكأنّه يريد أن يهرب من تلك السّطور اللّعنة التي يشدّ عليها بقبضته يده التي تصمّ أصابعها على المنديل الورقيّ ذي النّبوءة الشّؤم. كان مصمّماً على أن يعود في اليوم التّالي ليردّ قصصها الكائدة إلى نحرها،ولكنّه لم يعد؛لأنّه وقع من ليلته في بهو المسبح،وكسرت قدمه،وحاصره الجبص اللّعين،وحرمه من مهمته الهدف لتقييم حالة مريضته وصولاً لعلاجها،واستكمال متطلبات إنهاء فترة تدريبه الميدانيّة!

أمّا هي فوقعت في ذمّة الطّبيب المسؤول في المستشفى الذي قرّر أن يتحدّى قصصها النّبوءات،وأن يعرف مصدر طاقته الاستشرافيّة،ولو كلّفه ذلك أن تكتب قصّة موته! ولذلك تمترس خلف ابتسامة إسمنتيّة غير قابلة للتّداعي،وتأبّط جأشه،وطلب أن يقابلها متصنّعاً الأريحيّة

بإعداد كأسي قهوة لهما بطريقته التّقليديّة التي يصمّم عليها عندما يصنع القهوة له في حالات تفكيره المستغرقة في الحزم والقطع في الأمور.

حاول أن يبتعد تماماً عن أيّ سؤال يتعلّق بملكتها القصصيّة،وحدّق فيها بقصديّة مصنوعة،ثم وجد نفسها يسألها باهتمام حقيقيّ:" منذ متى تكتبين القصّة؟"

أجابت بسرعة وكأنّها كانت تنتظر هذا السّؤال،وتعدّ عدّته لها:" منذ وُلدت،طوال عمري أكتب القصص،ولكنّني حديثاً بت أعلن عن كتابتي لها كي أخلق حلمي،وأنا عاكفة على ذلك."

-"وما هو حلمك؟" سألها بصوت ثخين كأنّه قادم من جوف تمثال.

-" أن أخلق من أعشقه! وأن أخلق للآخرين من يعشقونهم".

- " وكيف يكون ذلك؟" سألها بنبرة مخابراتيّة تحقيقيّة.

-"بالكلمات،أنا أجيد أن أصنع كلّ شيء من الكلمات،والعشق أشدّ ما أجيد صناعته ،لقد كتبت قصة عشقي الموعودة كاملة،رسمت رجلي الحلم،اخترت ملامحه كما أشتهي،نظمت تفاصيل هذا الدّفق العظيم من السّعادة المنتظرة بقدومه،ركبتُ أجزاء الفرح التي تصنع روحه ووجوده،والآن عليّ أن أنتظر تحقّقها،وهذا ما سوف يكون،سأعيش أجمل ما يمكن أن يصدف البشر في حياتهم،سأعيش العشق".

" وهل أستطيع أن أطّلع على هذه القصّة؟" سألها بفضول مهنيّ بحت.

- " طبعاً. أجابت كمن تلقي عليه إجابة حفظتها عن ظهر قلب منذ زمن طويل،وأخرجت من جيب لباس جنونها الأزرق الفضفاض دفتراً صغيراً أخضر،وفتحته مسجّياً في حضنها،وفتحت الصّفحة الأولى منه،وقالت بثقة من تفرض شروط انتصارها على خصمها المهزوم:" ولكن أنا من ستقرأ لكَ هذه القصة،سأقرؤها عليك في أيام؛فهي أطول من أن تُقرأ في جلسة واحدة".

-"وأنا سأستمع إليك باهتمام" ردّ الطّبيب وهو يضع راحة فوق راحة،ويسترخي على مقعد منجّد مستطيل قبالتها معلناً استسلامه لقصصها.

وشرعت تقرأ،وشرع يسمع،أيام طويلة قرأت،وساعات طويلة سمعها،خطفته إلى دنياها السّرديّة،وطارت به ومعه،وعلّقته في سماء البهجة حيث لا تكون إلاّ في شفة تلعق شفة،في قلب يلهج بقلب،في جسد يتّحد بجسد،في رعشة تنبثق عن رعشة،في أنامل تصبح حكاية،في سماء تصبح أجمل،في عيون تصبح تاريخاً،في نَفَس يشهق ويزفر خزامى،في نبض يتألّه على الوجود،في وجود يُختصر في آخر دون غيره في بشر،علّمته كيف يكون العشق دفقات،وكيف يتعملق في ومضات،جسّدته له في مواقف وكلمات ورؤى وأحاسيس وخلجات،أدركته بحواسه،وذاقته بمداركه وانتفاضات جسده،في كلّ يوم

سارت به في درب من دروب الهوى،وفي كلّ جزء من قصتها رمحت بـه في سهوب العشق الخصيبة.

كان يعيش قصتها لحظة بلحظة،بات يعيش داخل قصـتها سـطراً فسطراً،انطلق يتعامل مع عالمه بروح عاشق يُصنع على دفقات منسوجة من وشيج رسمهـا بالكلمـات،تعلّم أن يتعطّـر باللافنـدر،وأن يسـتقبل الصّـباح بفـرح مـن نـال غنيمـة سـاعات إضـافيّة في الحياة،بـدأ يقـرأ الشّعر،ويحضـر السّـينما،ويجوب الشّـوارع في المهرجانـات،طفق يحـبّ جسده العجوز الذي فارقه الرّضـا عنـه منـذ زمـن طويل،بـات يمـارس رياضة الجسد والرّوح والعقل،ويتلّذذ بتفاصيل حياته كلّها؛ لقـد وهبتـه عينين جديدتين يرى بهما الكـون بشـكل بهـيّ فـرح متفائل،فـأدرك أنّ العمل يمكن أن يصبح حرفة للسّعادة والإسعاد والعطاء لا حرفة دخـل وتوفير نفقات،وجزم بأنّ الأسرة تلوّن من تلوّنات ذاته،ولذلك عليه أن يهبها محبته كاملـة،وعاد قـادراً علـى اسـترجاع لحظاتـه البائـدة الجميلـة المقتولة بفعل التّقادم مـع زوجتـه وأبنائـه وحفدته،فمضـى يتـذوّق مـن جديد عشقه لزوجته ولأبنائه،وغمر حفدته لأوّل مرّة بحبّه النّشط الجميل الذي يسمح له بـأن يشـاركهم لحظـاتهم الجميلـة في الملعـب والمدرسـة والبيـت والعطـل والاحتفـالات الخاصّـة والعامّة،بعـد أن هجـر حبّـه السّكونيّ المختزل في قبلة استقبال أو احتضان وداع أو سـؤال أو اثـنين عن أحوال المدرسة والتّحصيل الدّراسيّ وتفصيل الحياة اليوميّة.

وانحاز للشّباب الذي ينبثق ثرّاً حارّاً نشطاً من الرّوح التي لا تهرم عندما تتغذّى من نفس عملاقة أدمنت على أن تكون نفسها وتكون الآخرين في آن،فتمخّضت عن أجمل تعايش بشريّ مع الوجود العابر بالجسد الخالد بالرّوح،فانطلق يرعى جسده،ويرفّه روحه بكلّ جديد،أحبّ الله والبشر وذاته،وراح يزرع الجمال في كلّ ناحية من رياض نفسه.

كانت مريضته القاصّة تعيش فيه بكلماتها التي تمتدّ لتختار عطره الجديد،وتجعله يغيّر تسريحة شعره،ويلبس ملابس مزركشة غير رتيبة كلاسيكيّة داكنة كالتي كان يلبسها سابقاً،لم يعد من المستحيل أن يراه النّاس يحمل طاقة زهر لزوجته،أو يزرع حديقة المستشفى بالياسمين البلديّ،أو يرقص مع موظفي المستشفى في سمر ليلي متسلّل إليهم بعد يوم عمل مجهد،وألف من حوله أن يروه يدندن وهو يقود سيارته،ويؤرجح حقيبته الجلديّة وهو يسير بفرح،ويصعد الدّرج وينزله وهو يتجاوز درجة بين كلّ درجتين بنشاط عجيب لا يماثل شعره الأبيض وتجاعيد وجهه الدّاكن القمحيّة.

القاصّة المريضة كانت تروى قصتها السّحر،وترسم الحياة والبهجة في أعماق الرّجل المعشوق الجدير بلحظات الحياة،وطبيبها النّفسيّ المعالج ينزل هذه الشّخصية في أعماقه،ويذيبها في وجدانه،ويمتصّها حدّ التّشبّع بها،هي تتخيّل وتروي،وهو يخفق حيّاً كائناً بما تخلق فيه من جمال.

باتا صديقين يرسمان لوحة الحياة معاً،هي تروى له أقاصيصها الخياليّة،وهو يؤمن بها،ثم ينزلها على أرض الواقع افتتاناً بما فيها من جمال،وإدراكاً لسرّ الحياة فيها،كانت تراقبه يقترب من عالمها،وكان يراقبها تحنو على عالمه وهما يجلسان في حديقة المستشفى حولهما نفر من المرضى والممرضين والأطباء يسمعون قصصها،أو يحتسي معها منقوع النّعناع البريّ مشروب المساء،أو يمارس معها رياضة المشي في الغابة الخلفيّة لمبنى المستشفى.

هي لم تعد مريضة محتملة يقف على تخوم جنونها أو عقلها ليرصده في تقرير رسميّ مختصر،وهو لم يعد طبيباً عجوزاً ليس له من الحياة إلاّ انتظار الرّحيل عنها،إنّما غدت صديقته المبدعة التي يستحيل أن تقترف غير الجمال،في حين غدا رجلاً سعيداً يعيش قصة حبّ مع زوجته في سن السّبعين بوحي من ذلك الرّجل القصصيّ المتخيّل الذي صنعته القاصّة له.

لقد عرف بها كيف يمكن أن يكون العشق قضيّة،وتعلّم منها أن يصالح العالم كلّه بهذا العشق،بعد أن أصبح أزمانه كلّها،ومن يصبح العشق زمنه فقد نال الخلود والجمال والقوّة.

"من يصبح العشق زمنه فقد نال الخلود والجمال والقوّة" هذه هي جملتها الختام في قصتها الوعد التي أنجزتها لقلبه دون أن تعده بذلك،كرّر الجملة لأكثر من مرّة مخموراً بها،طوت صفحتها الأخيرة،وغادرت حجرته دون إذن أو كلمة وداع أو نظرة من أيّ

نـوع،وبقي هـو أسـير الجملـة يكرّرهـا ممسوسـاً بها،ملتبسـاً بمسـاحاتها وطاقتها.

مضت أيام دون أن يرى مريضته من جديد إلاّ لمحاً من بعيـد،كان يراها مع بعض نزلاء المستشفى تروي لهم قصصها اللّغز ترياق الوجـود الجميل،كان يهزّ رأسه فرحاً بها راضياً بما تفعله،فهو يعلـم أنّهـا سـتزرع أنفسهم بيادر فرح،وستخرج منهم العشّاق الذين تجيد أن تصـنعهم مـن سردها القصصيّ،ثم يتحسّس نفسه فرحاً بما أصبحه،ويمضي بعيـداً نحـو مكتبة في الطّابق الثالث ليكمل كتابة تقريره النّفسيّ عن حالتها.

بعد أيام انتهى تقريره عنها،وبدل أن تنقـل إلى السّـجن مجرمـة أو تخلّد في مستشفى الأمراض النّفسيّة والعصبيّة مريضة خطيرة على نفسها وعلى المجتمع،أُفرج عنها بناء على توصياته التي أكّدت أنّها قاصّة مجيـدة رقيقة،قد لا تُجيد أن تدافع عن نفسـها أمـام المجتمع،ولكنّهـا تعـرف أن تنفث الرّوح في عوالم قصصها لتنقلها إلى الحقيقة بكلّ مـا في ذلـك مـن فنتازيا وتجاوز لمألوف العادة بعيداً عن أيّ جرم أو إيذاء مقصود أو غـير مقصود بطاقة فطريّة إبداعيّة قادرة على الاستشراف والتّنبؤ بالمستقبل.

طبعت قبلة على خدّه وهي تودّعه على بـاب المستشـفى بعـد أن فتح لها الباب بيده،وأومأ لها بالطّيران بعيداً عـن سـجنها فيه،ابتسـم لهـا ابتسامة حلوة تعلّمها من قصصها،ومدّ لها بورقة صـغيرة مـن الكرتـون المقوّى طُبع فيها بلون ذهبيّ داكن رقـم هـاتف صـديقه الصّـحفيّ،وقال لهـا:ٰهـو في انتظاركِ،سـيوفّر لـكِ عمـلاً مناسـباً في صـفحته الإبداعيّـة

القصصيّة في الصّحيفة الـتي يملكها،لقـد اتّفقنـا علـى ذلك،لقـد حدّثتـه عنكِ،هو يعرفكِ جيّداً.

تناولت الورقة منه بحماس،ووضعتها في داخل حقيبتهـا الكتّانيّـة الصّغيرة،وابتسمت ابتسامة نديّة مار بها فستانها القصير الصّـيفي بزهـو طفلة مشاكسة دون أن تنبس بأيّ كلمة،وقفلت تسـير نحـو البعيـد،وهي تروي لنفسها قصـة الرّجـل الـذي تعشقه،وسـتقابله بعـد قليـل عنـدما يصدمها بدرّاجته الهوائيّة وهي تقطع الشّارع بُعيد كيلو مـتر واحـد مـن هذا المكان!

راقصة الطّاغية

تسمح بأن تُستباح في أيّ شيء إلاّ في رقصها،لا شيء عندها يتصف بالقداسة إلاّ تلك اللّحظات الهنيّة الشّهيّة التي ترقص فيها،جسدها عندئذ يحار في حركات علويّة متّصلة مع عالم روحيّ لا يعرف لحظة حزن أو خذلان أو مذلّة أو تواطؤ إلاّ مع موسيقى خفيضة تخضعه بحنان غنج سرعان ما يرخي قبضته المتشبثة بها ليجري مرحاً نحو رياض وزهور ونشوة لا تنقضي،تظلّ تتلوّى كجنيّة في باطن كف عفريت عاشق لها،ويظلّ من حولها من حضور يتحرّقون في سعار فتنتها ووهج شبقها،ترقص هي،وترقص الدّنيا معها،تتلوّى هي،فتتلوى الأعناق معها،تدور وتدنو وتقترب والأرض مطواعة لها،تسعى معها،تدبر معها،وتعود معها،والعيون والحناجر والخلجات مشدودة إلى خصرها النّحيل وإلى شعرها الدّئبيّ الأشعث المطعّم بلمعان متّقد،وعيناها لا ترنوان إلى أحد،بل تزوغان نحو ملكوت بعيد لا يدركه بشر،ولا يخمّنه قلب،ولا تدخله نفس عاصية.

ثم تنقطع الموسيقى،وتتنهد بعمق،وكأنّها استيقظت من دروشة صوفيّة فجريّة نديّة،تغادر حلبة الرّقص كحصان بريّ فتي يجري دون تعب،ويجفل حتى من خياله،وخصال شعرها الفضّية تغيّب ملامحها الحادّة المعجونة بتحدٍ هو طبع أصيل فيها،وتظلّ عيون الرّجال الحاضرين متعلّقة بجسدها المعرورق بترياق الفتنة وهي تبتعد تحجل ككائن بريّ يكتشفه الرّجال الجائعين في صحراء جوعهم الأزليّ.

لا تسمح ليد لامس بأن تهبط على جسدها،ولا تتريث عند كلمة إطراء أو نظرة إعجاب،ولا تستوقفها يد واهبة أو كيس عطاء،تكتفي بأجرتها المُتفق عليها مع صاحب اللّيلة،وتغادر المكان مع فرقتها قانعة بلذتها التي تملأ نفسها بقشعريرة تستنفرّ حواسها ومداركها جميعها.

شرطها الوحيد لكي تُكترى أن تنظر في عيني من يكتريها قبل أن تقبل بالرّقص في ليلته،دائماً تبحث عن شيء ما،أو تخشى من شيء مجهول،عندما لا تلمح في عيني من يريد أن يكتريها ما تخشاه توافق على الرّقص له ولمن معه،وتفرض شروطها المتلخّصة في مكان مغلق،وموسيقى محدّدة،وحلقة مفرغة لها لا يقترب منها بشر،دون طرح الأكل والشّراب والألعاب في حضورها حتى تنهي عرضها الرّاقص،فيوافق المُكتري لها على شروطها طائعاً بعد أن باتت شروطها معروفة عند الجميع؛فهي أبرع راقصة في البلاد،وحضورها لأيّ حفل يضفي عليه أبّهة وبهرجة،ويصفه بالبذخ والذّوق والخلوة لأهل الصّفوة والنّخبة وعلية القوم.

لا يعرف أحد شيئاً عنها،سوى بعض القصص الشّائعة عن قيامها اللّيل صلاة وتعبداً في معظم ليالي السّنة،واستضافتها لحلقات رقص الصّوفيّة،وانقطاعها في أوقات فراغها لحفظ أشعار الصّوفيّة والنّساك والعبّاد والمجذوبين،وبعض قصصها عن الإحسان لمن تمرّ بهم من الأيتام والأرامل،وولعها الكبير بالحمام الزّاجل،وتربيتها له في أسراب عملاقة في أبراج بيتها الفسيح الذي لا تنطفئ ناره،ولا تغلق أبواب

تكيته،ورفضها للرّقص في بيوت من اشتهروا بالظّلم والفساد،ولو وزنوها بالذّهب،وقايضوا رقصها بالفضّة والعنبر والمسك.

خصال غرّتها وذوائب شعرها تخفي عينيها في معظم الأوقات،فهي لا تبعد هذه الخصال عن عينيها إلاّ في حالة أرادت تفرّس وجه مكترٍ،أو أخلصت لحالة رقص صوفيّ،أو استسلمت لحمى رقصها ولسعار جسدها الذي يتفانى في حركاته،ويموت ويبعث في كلّ لحظة اندماج بأنغام الموسيقى واتّصال بملكوتها العلويّ.

ما كانت لتقبل بأن ترقص في حفل ذلك الطّاغية لولا تلك التّهديدات التي تلقتها مبطّنة بلطف صفيق دبق من قائد حرسه الخاصّ،تعترف بأنّها قد خافت منه،وأخذت هذه التّهديدات على محمل الجدّ،فسيرته الملطّخة بقصص القتل والخطف والتّعذيب والفتك والاغتصاب والتّزوير والتّآمر والانقلابات والاغتيالات تجيز له أن يفتك براقصة جميلة إن هي استفزّته ولو كانت شهيرة،أو داست رغبته الصّغيرة المتواضعة بأن ترقص لمولاه الطّاغية ولضيوفه وصفوته في حفل بهيج يقيمه قصره المؤقّت قبل أن يكمل طريقه إلى أقاصي البلاد ليقيم في قصره المنفى حيث يريد أن يعزل نفسه عن الشّعب بشكل كامل،ليخلو له وجه المتعة والبذخ والمجون بعد أن قضى جلّ عمره في الجبال يعارك الأعداء زمناً ثم يعارك الرّفاق أزماناً ليستولي أخيراً على السّلطة بعد أن خانه الشّباب،وهربت منه النّضارة،وغزاه الشّيب،وغلبته تجاعيد الوجه.

استسلمت لقدرها المأسور لرغبة ذلك الطّاغية المسمّى بالرّفيق الأوّل الذي ترى صوره مبثوثة في وسائل الإعلام كلّها بابتسامته المديدة التي تشمر أرنبة أنفه،وتجتاح فكيه،فتظهر صفي أسنانه المرصوفين بدقة متناهية،فتغور عيناه الصّغيرتان في تجويف جمجمته،ولا يعود يدرك الرّائي أيّ معنى أو سرّ فيهما،لا شيء غير الغموض والصّمت والسّواد العميق المخيف.

برزت الرّاقصة كحصان بريّ مكبّل في حلبة كبيرة قبالة عرش الطّاغية الخالي منه حيث يترامى حوله الحضور والأخلاء والضّيوف ورجال دولته الجبليون الأشدّاء،الموسيقى بدأت تتنزّى في أذنيها،وحمّاها بدأت تدبّ في أوصالها،وبدأ يغشاها ما يغشاها من جلال وهي تترنّح في رذاذ اللّحن بخدر موصول برعشة سرعان ما تستولي على جسدها،وتغلق عليها حواسها،وتنقلها إلى عالم نورانيّ دافئ يداعب كلّ ذرة من جسدها،ويدفعها إلى انخراط كامل في حركات لا تعرف خبوّاً أو فتوراً.

عرشه لا يزال فارغاً،وهي ترّقص الدّنيا حولها،والجمع مشدوهون وهم يلتهمون جسدها بقرمشات شبقة محرومة،ولا جسد غير جسدها في هذه اللّحظات يملك حركة أو جفلة أو لغة غير الصّمت في محراب سحرها،وخصل غرّتها تتناوب على كشف عينيها المتحدّيتين،ومن ثم سترهما لتهدئة أوار هذه النّار المقدّسة التي تشتعل في أجساد الحضور الذين يدروشون في حلقة حضورها الباهر،وعرش

السّلطان لا يزال فارغاً،وهي بالكاد تستطيع أن تلمحه في دوارها السّابغ المسبغ.

وفجأة يزدحم عرشه به،هو نفسه الذي ترى صوره في كلّ مكان،وجهه ذاته ولكن دون ابتسامته الطّفوليّة البريئة التي لا تناسب ذئبيّة عينيه،وشراسة سيرته،وبروز تجاعيد وجهه،وقدرة خصال شعره الأبيض على الإدهاش والإسعاد.يحدق بها طويلاً،يتابعها بجوارحه جميعها،تشعر بأنّ عينيه تعرّيانها،ويديه تمتدان إليها دون استئذان،وصرخة ما تتولّد في أعماقها،ينقطع ذلك الخيط الذي يربطها بالسّماء،وترتبك حواسها،وتشعر بحاجة مفاجئة إلى أن تحصي خطوات قدميها خوفاً من أن تسقط عن حواف حلبة الرّقص،يغيب من أعماقها ذلك البارق السّحريّ الذي يلهمها حركاتها،ويخفت ذلك الشّدو السّماويّ الذي يرافق موسيقاها حتى يخبو تماماً،وتتضّخم ملامح الطّاغية حتى تطغى على المشهد أمامها،فيغيب الحضور،وتتلاشى الوجوه،وتنغرز عيناه في وجهها،وتتعاظم قسمات وجهه حتى تكاد تبتلعها،ويتعاظم وجيب قلبها حتى يطغى على مسمعها،ثم ينزلق لهاثه في أحشائها،فتشمّه بثنيات أمعائها التي تتقلّص بتشنج مداهم،ثم تعجز عن الحركة،فتتسمّر مكانها متصلّبة لا تقوى على حراك أو إيماءة،وعيناه قبالتها متحدّيتان بسكون راكد،تبدأ الأرض تدور بها،وفجأة تتكوّم على الأرض مغشي عليها،تزبد متشجّنة،يطير الحضور إليها إلاّه يبقى جالساً غائراً في عرشه الوثير، يشمّ ضعفها المسكوب في حضنه دفعة واحدة،لا يسأل عمّا

حدث لها وهو العليم بما حدث،والجميع به جاهل،يهمّ يغادر المكان،إلاّ أن ضعفاً خائناً يطعنه في جأشه،ويأكل رزانته،ويعرقل خطواته الأسديّة الرّتيبة،فيسقط هو الآخر مغشيّاً عليه.

يوم وليلة وتتشافى الرّاقصة ممّا غشيها،وتنقطع إلى الحضرات الصّوفيّة تطارد فيها وجهاً شرساً عتيّاً كان آخر وجه تأخذه إلى قلبها ليلة أُغشي عليها في حلبة الرّقص،وتهتف باسمه بصوت مرتفع يتبخّر في سماء الدّفوف وتسابيح المنشدين،أمّا هو فلا يزال مريضاً في قصره،تغزوه حمى مجهولة السّبب،ويغلبه ضعف سرّي يعطّله حتى عن أحلامه التّوسّعيّة السّلطويّة المسيطرة على ذاته بشكل كامل.

لا طبيب يعرف له علّة،ولا دواء يعرف له شفاء،ولا صديق يملك له دعاء مستجاباً شافياً،وهي تنتظر دون توقّف أمراً لا يكون.

حارسه الشّخصيّ وكبير جنده يأتيها على حين غرّة،ولكنّها كانت في انتظاره،يرمقها بتوعد جاد،يشدّها من ذراعها العاجي قائلاً بنبرة آمرة بشراسة بادية على قسماته ونبرة صوته:"هي بنا،ارقصي له لتخرجي منه ذلك المسّ الذي دخل جسده منذ أن رقصت له".

لا تتفوّه بأيّ كلمة،تسير أمامه بطاعة كاملة وكأنّها تنتظر أمره لها بالمسّير منذ دهر،لا تنظر خلفها،ولا تسأل سؤالاً واحداً،وتغرب في صمت مجفّل،دقائق وكانت في قصره الذي دخلته على ظهر فرس يسبق الرّيح وهي تجلس خلف الحارس الشّخصيّ،فُتحت لهما بوابة القصر

سريعاً، كمذنب آثم جرّها وراءه على عجل في ردهات رخاميّة صمّاء باردة،ثم أخيراً فُتح لهما باب داخليّ كبير على مصرعيه،فدلفا إلى غرفة نوم الطّاغية،في السّرير هو يتمدّد بجسده المهزوم ورأسه الكبير،يقترب الحارس الشّخصيّ من رأس سيده بطاعة ذليلة،ويهمس في أذنه بنبرة حنونة لا تناسب قسوة أصابعه التي تنغرز في لحم يدها وهو يمسك بها كالمساق إلى المقصلة،ويقول:"سيدي استيقظ،لقد أحضرتها لترقص لكَ من جديد.الويل لها إن لم تخرج شيطانها الشّرير من جسدكَ".

يستيقظ السّلطان بلهفة ولهى لا تسعفه ليجلس باعتدال في سريره،يلتهمها بعينيه الصّغيرتين ليتأكد من وجودها قربه،يطلق زفرة ارتياح عندما يلمح تلك النّظرة المشتهاة في عينيها،يخرج الحارس من الغرفة،تُغلق بوابة المقصورة بصرير خفيض،يمدّ الحارس الشّخصيّ يده نحو الرّاقصة بحركة آمرة بذل وهو يستعدّ للخروج من الغرفة،ويقول:"هيا ارقصي له،ارقصي له دون توقّف".

تقترب أكثر من الطّاغية،تبتسم له لأوّل مرّة في حياتها،تقترب خطوة أخيرة قبل الالتصاق بجسده،تخلع ثوبها الطّويل الضّيق الذي يستر جسدها بشكل كامل،تقف أمامه عارية تماماً إلاّ من نظراته وارتعاشاتها الأرضيّة لا السّماويّة،لا ترقص له كما أُمرت أن تفعل،بل... ويغيبان عن الوجود ...

أبو دوح

الكلّ يناديه باسم أبي نوح،ولا أحد يجرؤ على أن يناديه باسم أبي دوح كما ينطقه في حالة سكره الدّائم التي ما عاد أحد يراه في حالة غيرها،كما لا يستطيع أحد أن يجزم إن كان ينطق اسمه على هذه الشّاكلة بسبب عيب نطقيّ في منظومته الصّوتيّة،أم بسبب تلعثم لسانه من طول استغراقه في غياهب سكره.وكلّما سأل أطفال الحارة القديمة أمّه العمياء التي نادراً ما تتشمّس على مصطبة البيت عن اللّفظ الصّحيح لاسمه كانت تقول بفخر،وكأنّها أم وليّ عهد السّلطنة المفدّى لا والدة السّكير العربيد الأسوأ سمعة في الحارات القديمة الخدرة بروائح الاكتظاظ السّكانيّ والفقير المقيم والأمواه الرّاكدة: "أيّاً كان اسمه الله يرضى عليه".

لا يجرؤ الأطفال على تكرار السّؤال من جديد على العجوز العمياء،ويطيروا بعيداً عنها خوفاً من أن يدرك سؤالهم الملحاح أذني أبي دوح،فيخرج إليهم من ظلام الجحر الذي يسكنه مع أمّه،ويفتك بهم كما أعتاد أن يفتك بأهل الحارة دون رحمة أو تفكير،حتى غدت الأمّهات تخوّف به الأطفال ليناموا أو ليأكلوا طعامهم المهجور أو ليطيعوهنّ فيما يأمرن به.

جمع أبو دوح في طباعه وشكله وصوته ورائحته وحضوره كلّ قبيح،وأتقن كلّ فعل منفّر،وأخلص للبذاءة والابتذال،ونذر حياته

للتّسكّع والخمر والهلوسات والارتهان لعوالم المسطولين ودنيا الحشّاشين،وانغمس في عالم الخمر حتى كانت له أقول مأثورة في هذا الشّأن،يتناقلها السّكارى،ويتأسّى بها المشاغبون وقطّاع الطّرق على الفتيات والنّساء في الحارات القديمة،ويتندّر بها الأطفال والسّمار.

ولكن في حضرة أبي دوح يلتزم الجميع الصّمت،ويقرؤون على أنفسهم بعض آيات القرآن علّه يمرّ بهم دون أن يفتك بأحدهم،أو يبصق في وجه كبيرهم،أو يجرّد أحدهم ممّا في محفظته من مال،فيلقون التّحية عليه بإكبار ممجوج ينفر بالجبن العفن،ويحثّون الخطى بعيداً عنه،وهو يكرّرون:" السّلام عليكم يا أبو نوح".فلا يردّ على أيّهم سلامه،ويرقبهم بتقزّز بعد أن يختار الشّخص غير المحظوظ الذي سيفرغ محفظته في جيبه ليشتري بها زجاجة خمرته اليوميّة الأثيرة.

لا دعاء يصل إلى قلب أبي دوح،ولا خوف يسكنه،ولا أمر يعنيه،ولا شفاعة برب أو وليّ أو نبي أو صالح تنفع معه،إنّما الدّرب الوحيد الآمن إلى قلبه السّكير الغاشم هي أمّه،إذ نطق أحد اسمها تغيّرت ملامح وجهه من القسوة والتّجهّم إلى المحبّة والسّلام،إن أقسم أحد عليه بها أبرّه ولو على قطع رقبته،إذ سمع صوتها هرع إليها كقط أليف،إن طلبته لبّاها،وإن أمرته أطاعها،وإن نهته عن شيء انتهى،ولولا علمها بعشقه للخمر،وبأن روحه معلّقة بها لأمرته بتركها،فهجرها للتّو والسّاعة ولو هلك في ذلك شرّ مهلك،لكنّ رحمتها به منعتها من تطلب منه أن يهجر معشوقته الخمر،وظلّت في كلّ صلواتها تدعو له بحسن

الخاتمة،وبهجر كأسه الملعون،وبحمايته من حادث مريع قد يتربّص به جرّاء ولّعه العجيب القاتل بقيادة الدّراجات النّاريّة بسرعة جنونيّة.

هي وحدها من تدعو له في الخفاء والعلن،و تسمّيه الرّضي الحنون،في حين يلعنه النّاس في سرّهم،ويمسكون عن ذلك في جهرهم خوفاً من بطشه،أمّا أخوه عبد الله الذي لبس اللّحية من زمن طويل،وأتقن لعبة الصّلاة،وخدعة صلاة الفجر والجماعة،واستحلى لقب أمير الجماعة في العمرات والحجّات التي يذهب فيها مأجوراً على ذلك،وهارباً من عمله الرّسميّ،فقد كانت تسمّيه الأم النّجس،وتلقّبه بالغضيب،وتدعو عليه بالعمى،فيلزم الصّمت إمعاناً في تقمّص دور المتديّن الملتحي الطّاهر،وربه يعلم ونفسه أنّه منافق كبير،فهو يجيد اقتناص الفرص ليحصد غنائم لحيته،ويمدّ يديه بالاختلاس والنّهب لكلّ مال يُوكل إليه في ذمّة الصّدقة،كما يمدّ يديه وشهوته وعضوه نحو كلّ فقيرة كسيرة تشتهي القرش،و تخشى قطع أموال الصّدقات عنها إن قالت لمسؤول الزّكاة الزّاني :"لا".

كلاهما يتقن دوره؛أبو دوح يتقن دور السّكير الماجن الذي يقطع الدّروب على أصحابها،وعبد الله يتقن دور الشّيخ المتديّن الورع،وأهل الحارة يمقتون الأوّل سرّاً،ويبرّون الثاني سرّاً وعلانيّة،ووحدها الأم من تترّضّى على أبي دوح،ولا تتوقّف تدعو على ابنها الشّيخ الكذّاب عبد الله بالعمى والفقر ضيق الرّزق والفضيحة في الدّنيا والآخرة.

والحيـاة تمضـي،وأبو دوح يقـوم علـى خدمـة أمّـه العجـوز العمياء،ويبرّها ،ويسعى لقضاء حوائجها كلّها،ويطير حولها مـن مكـان إلى آخر كطير من طيور الجنّـة يبرّهـا بـرّ الجاريـة للسّـلطان،ويحبّها محبّـة العطشان في الفيافي للماء الزّلال،والابن العائق عبد الله يعتزلها،ويتـأفّف من رائحة جسدها المتفسّخ من مرضها الذي طال،ولا يـنقط في حلقهـا ولو بخردلة مـن عطـف أو رحمـة،ويهب وقتـه كـاملاً لنسـائه الفقـيرات اللّـواتي يعـدو علـى أعراضـهنّ،ويغدو في سـياحة موغلـة في التّلبيـة والتّسبيح في غدو ورواح إلى عمرة أو حجّ،و السّماء تصكّ أبوابها دون صوته الملعون العاق،وصوت الأم الكسير يعلو إلى السّماء حـاملاً اسـم أبي دوح إلى سدرة المنتهى طالبة المغفرة والرّحمة لـه،أمّا الصّـمت فيلـفّ الحارة القديمة،ويكبّلها بالأسرار.

ماتـــت الأم وهـــي تحتضـــن رأس أبـــي دوح،وتـــدعو لـــه بالبركة،والشّيخ عبد الله يوزّع مـا تبقّـى مـن الصّـدقات علـى فقـيرات الحيّ،بعد أن خصّ نفسـه بجلّهـا.شـيّع أهـل الحـارة الحاجـة أم دوح إلى مثواها الأخيرة،وعزّوا الشّيخ عبد الله بوفاة أمّه بحرارة واحترام بعد أن أدرك كفنها على حافّة قبرها،وعزّوا أبا دوح المتسـربل بدموعـه وحزنـه بخوف يملي عليهم أن يثبتوا تعاطفهم معه وإلاّ صبّ عليهم جام غضـبه وانتقامه بعد أن يتجاوز هذه المحنة التي رأوه فيهـا لأوّل مـرّة منـذ سـنين مستيقظاً من هلوساته دون كأسه أو زبده أو مجونه وتطوّحه.كـان يبكـي بحرقة،ويتكوّم على قبرها كسيراً وحيداً ككلب أجرب أعور.

وغاب أبو دوح،وما عاد أحد يراه،واستسلم لبكائه المفجوع على أمّه الرّاحلة،حتى أنّ أطفال الحي تجرّأوا على أن ينادونه باستهزاء بأبي دوح،وما خرج إليهم من جحره،ولا زعق بهم،ولا فتك بأحدهم،فأيقنوا أنّ أبا دوح الشّرس قد مات بموت أمّه.وفيما بعد تيقّنوا من موته بعد أن رأوه جثّته متفّحمة هو وأخاه الشّيخ عبد الله بعد أن انفجرت أسطوانة الغاز القديمة في بيتهما الجحر،وحولّتهما في لحظات إلى حطام حطبيّ بسخام أسود شائط الرّائحة باستثناء الذّراع اليمنى لأبي دوح التي لطالما ألقمت الطّعام لأمّه بمحبّة وحنو،فقد ظلّت سليمة تزهو بوشمه العريض المُزرقّ "النّمر الشّقي تاب بعد رحلة عذاب".

الجميع رثوا للشّيخ عبد الله،وتنهّدوا الصّعداء لتخلّصهم من السّكير أبي دوح،وكادوا يحملوا الجثّة الأولى على الأكف،ويتجاهلوا وجود الثّانية،لكن الرّائحة المنتنة المنبعثة من جثّة الشّيخ عبد الله نفّرتهم منه،ودفعتهم مشدوهين الأنوف إلى جثّة أبي دوح التي تعبق برائحة مسك فوّاح كأنّها من عطور الفردوس.

الرّائحة الزّكية لأبي دوح تسّللت إلى عرصات الحيّ القديم،وزكمت الأنوف والأرواح،فانساق أهل الحي القديم نساء ورجالاً مسنين وأطفالاً خلف الرّائحة،ومضوا في إثرها كالمسحورين،تحلّقوا نحو الجثّة المتفحّمة الطّاهرة،ومضوا فيها إلى المسجد ليصلّوا عليها،وطنين الزّغاريد يرافقها،والبسملات تكفّنه،وذروا جثّة

الشّيخ النّتنة في مكانها بعد أن أكلت النّيران لحيته القناع،وبقي وجهه الشّائن المشّوه الملامح مشدوهاً وهو يسفّ التراب.

وفي الأفق كان وجه أم دوح يعمّ الفضاء بابتسامة رضا. وفي الأرض يلفظ الصّغار اسم أبي نوح بإجلال وافر فضفاض،ولا يسمحون لأنفسهم بأن يخطئوا في لفظه؛فقد كان بارّاً بوالدته العجوز العمياء.

سحر وداد

على الرّغم ممّا حدث معها،فهي مصمّمة على عدم الإيمان بالخرافات والسّحر والشّعوذة والحسد والتّمائم والقوى الخارقة،ولن تسمح لنفسها بأن تؤمن بها بأيّ حال من الأحوال،وتستطيع أن تفسّر جنوح زوجها عنها إلى تلك الجارة الشّريرة التي لم تنل حظّاً من الجمال والأنوثة والرّقة،وحظيت بالشّر والكيد واللّؤم كلّه،هي تدرك تماماً أنّ زوجها وقع ضحيّة ألاعيب تلك المرأة التي حاصرته بمصيدة حبّها عندما كانت هي بعيدة عنه في سفر طارئ،ثم خنقته بلعبة الحرام والحلال،وكان سريرها طعمها الذي نشب في حلقه،وساقه إلى فخّ الزّواج الثّاني.أمّا أن تكون قد تصيّدته بنبال السّحر والشّعوذة،فهذا ما ترفضه تماماً،وتسخر منه كلّما سوّغت به جارة أو قريبة أو صديقة ما حدث معها.

هي تقبل تماماً بمعادلة القوى ولحظات الضّعف،ومعطيات البدائل،كما تقتنع تماماً بأنّ زوجها قد فجع نفسه بهذا الزّواج المفاجئ من جارته العانس قبل أن يفجعها هي بذلك،وهما من عاشا أجمل قصة تآلف وانسجام ووفاء طوال مدّة زواجهما الذي دام خمسة عشر عاماً،وتبرعم عن ابنتين رائعتي الإسعاد،وإنّما فجيعته متأتية من ولعه الشّديد بابنتيه وببيته الدّافئ،وعدم قدرته على أن يجد إجابة لسؤال ابنته الصّغيرة التي تتعلّق برقبته،وتسأله دائماً بعتاب ذليل:" بابا لماذا تتركنا في

كثير من اللّيالي،وتنام في بيت الخالة وداد؟ ماما تظلّ تبكي،وأنا أحزن كثيراً من غيابك".

فيهرب من سؤالها بأيام غياب أخرى يقضيها في بيت زوجته الثّانية وداد دون أن يجرؤ على يقطع المترين الاثنين اللذين يفصلان بين بابي شقتي زوجتيه ليحضن طفلته الصّغيرة التي اتّخذت لنفسها دبّاً قطنيّاً صغيراً تحضنه بتشبّث بدل والدها الذي اعتادت في الأيام الخوالي على أن تنام في حضنه،وتتشبّث بطوق منامته، فهو يعجز عن أن يجيبها عن سؤالها،وأن يقول لها إنّه نادم لتورّطه في هذا الزّواج الذي حرمه من دفء أسرته منجزه المقدّس الوحيد الذي يعتزّ به أيّما اعتزاز.

ولكن المترين الفاصلين بين بابي الشّقتين أبعد على نفسه من قطبيّ الأرض،ولذلك يلزم سريره في بيت وداد ملوماً محسوراً،وهو يحلم بحياته الأسريّة السّابقة التي أطلق عليها رصاصة الموت في لحظة نزوة لا يشفع لها جمال تملكه وداد،أو سبب منفّرٍ في زوجته الأولى.

هو يصمّم على أنّ وداداً قد سحرت له،ويؤّمل النّفس بأن يتحرّر في يوم ما من شرك سحرها،عندما ينقلب السّحر على السّاحر،ويستعيد الزّمن المسروق مع أسرته الأولى.

والآن بعد سنين من التّشظّي بين عاليه لم ينفكّ سحر وداد عنه،ولكن لعنته قد أصابتها بمرض عضال غريب حار الأطباء فيه،ولخّصوه في أنّه مرض عضليّ نادر،يصيب النّشيج العضليّ كاملاً

بضمور أزليّ يسبب العجز الكامل عن الحركة.وفي غضون أسابيع قليلة تحوّلت وداد المرأة اللاحمة الضّخمة إلى كتلة لحم هزيلة شبه متعفّنة من طول الاستلقاء في السّرير،وكاد زوجها يتخلّى عنه،ويطلّقها،ولكنّ غصّة غريبة في نفسه منعته من ذلك،وسلوك زوجته الأولى مع هذا الوضع ألزمه بنبل إجباريّ ما كان يسعى إليه؛فقد تبرّعت زوجته الأولى برعاية ضرّتها الشّريرة،وانقطعت لخدمتها،والقيام على أمرها،وصفحت عنها إكراماً لوجه الله تعالى،وهذا ليس غريباً على روحها الكبيرة الحنونة التي تعرف كيف تصفح وتعطي وتُكرم.

الزّوجة الأولى قد وجدت نفسها في معركة مع نفسها،ورفضت أن ينتصر الانتقام عليها،ولذلك كابرت كثيراً كي تكون نفسها،وقد كانتها بانتصار مؤزّر على ألمها الماضي الحاضر،بل قبلت بأن تتعاطى مع طلب ضرّتها الغريب بكلّ روح سمحة مرنة تتسع إلى كثير من غموض الآخرين وخصوصيتهم،وظلّت تقوم كلّ يوم بسكب زيت زيتون بمقدار فنجان قهوة في فتحة التّصريف الصّحيّ في مطبخها بناء على رغبة ضرّتها المريضة دون أن تعرف سبباً لهذا السّلوك الغرائبيّ الملغز.ولكّنها كانت منقطعة للقيام به يوميّاً مادام هو الأمر الوحيد الذي يعني ضرّتها،وتسأل عنه بشكل يومي لتتأكّد من قيامها به،وتدعو لها بالبركة لقيامها به،وتسأل الله العافية لها،وتكرّر على مسمعيها عبارات امتنانها لها المصحوبة بنتف دموعها التي قلما تبذلها لأيّ أمر حتى تفجعاً على حالها الذي وصلت إليه من مرض وهزال وعجز،أو على هجر زوجها

لها بشكل كامل منذ مرضت،وصيرورة حالها من القوة والبطش إلى العوز إلى رحمة ضرّتها بها،ورعايتها لها.

حتى بعد موت وداد بعد استفحال المرض فيها،وانتصاره عليها بشكل كامل بعد عامين من المعاناة الممزّقة،ظلّت الزّوجة الأولى تداوم على سكب فنجان زيت الزّيتون في فتحة التّصريف الصّحيّ في مطبخها إكراماً لوصيّة المرتحلة المتوفّاة التي قلبت حياتها جحيماً،وحرمتها من زوجها حتى بعد مماتها؛فمنذ موتها وزوجها في حال تشبه الذّهول،يعيش في عزلة مستبدّة به،ويعاني ألماً رهيباً في رأسه،ويكره أن يرى ابنتيه أو زوجته الأولى،وكلّما عاتبه أحد في أمر سلوكه مع أسرته،صّك يداً بيد،وقال باستسلام:"هي وداد،لقد سحرتني قبل موتها.أقسم على ذلك.وداد ماتت،ولكنّ سحرها لا يزال حيّاً!".

لقد مجّ النّاس سماع هذه الجمل من الزّوج،وعافت نفس الزّوجة هذا الحديث المتهالك عن سحر وداد المزعوم،وجنحت للتّسليم بأنّ زوجها الحبيب الخائن قد لاقى جزاء خيانته جنوناً وعتهاً،وتزامن نفاد زيت الزّيت من بيتها مع إصرار ابنتها الصّغيرة الفضوليّة على أن تعرف ماذا يوجد في قعر فتحة التّصريف الصّحي كي تسكب أمّها له هذه الدّفعات اليوميّة من زيت الزّيتون ممّا جعلها تقرّر في لحظة فضول ليست من طبعها أن تتجرّأ،وأن تمدّ يدها المغلّفة بظرف بلاستيكيّ شفّاف في قعر فتحة التّصريف الصّحيّ لتعرف سرّ زيت الزّيتون المُوصى بسكبه فيه.

حرّكت يدها قليلاً قبل أن ترتطم بتلك الكتلة القشريّة الصّلبة،قدّرت أنّها قد تكون كتلة كلسيّة كوّنتها رواسب التّصريف الصّحيّ،خلعتها بسهولة من مكانها،وأخرجتها من قعر الماء وسط ست عيون تراقبها بفضول،وتنحني باتجاه قعر فتحة التّصريف تخمّن خبط عشواء ماذا ستخرج يدها من القاع المائيّ،وما تصوّرت أبداً أن تخرج يدها سلحفاة برمائيّة عجوز،تمور برأسها تبحث عن زيت تلقمه،وقد اعتادت على أن يُسكب لها في هذا الوقت من النّهار، كانت قشرة بيتها مكشوطة السّطح بغير براعة،ومحفور عليها بخط غير متّسق،ولكن واضح:"لن يعرف هذا البيت السّعادة أبداً،وسيسلّط عليهم المرض والحزن والفراق".

أدركت الزّوجة خديعتها بوداد الشّريرة التي جعلتها لطيبتها المفرطة قيّمة على سحرها تسقيه زيت الزّيتون في كلّ يوم كي يستمرّ فعله باستمرار حياة السّلحفاة التي تتغذّى على الزّيت المسكوب لها،وهي حبيسة مكانها الضّيق في قاع فتحة التّصريف الصّحيّ حيث لا متّسع لها لتسقط في المجاري الرئيسيّة،ولا طاقة لها للتّسلّق للخروج من فتحة التّصريف الصّحيّ.تلك الكائدة الآثمة لم تتعظ بما فعله الله بها،وظلّت مقيمة على سحرها وإثمها حتى بعد موتها،وهذا يفسّر كلّ ما تلاقي أسرتها من شرور.

يثب زوجها في مكانه مراراً كمن وجد ماء في مفازة قائلاً بحماس وتوتّر مشفوع بتأتأت متعثّرة:"ألم أقل لك إنّ سحر وداد موجود بيننا؟".

قالت الابنة الكبرى التي غالباً ما تجنح إلى الصّمت:"ولكنّ أمّي لا تؤمن بالسّحر!"

تصمت الأم وأزواج العيون تنتظر تعليقاً منها،ثم تقول بجزم:"سنبول على السّلحفاة ثم نقتلها،بالنّجاسة يُفكّ السّحر،هكذا سيزول سحر وداد".

تقاسيم

حكاية (١)

هما كانا بلا ذاكرة تمنّي عندما وهبهما الزّواج هدية فوريّة إجباريّة،اسمها سناء،على عجل اختارا أن تكون الهدية ذكراً يحمل اسم الجدّ،وملامح الجدّة نزولاً عند رغبات مزوّرة بتخليدهما،فكانت الهدية فتاة،لا تخلّد اسم الجدّ المنسي،ولا تشبه الجدّة الشّمطاء،نكاية بالأم أسماها الأب سناء؛لتذكّره بحبٍّ بائد من الزّمن الغابر،ونكاية بالأب أسمتها الأم سناء لتحبس ذكرياته في وجه ابنتهما،ونكاية بالأب والأم أسمت الطّفلة نفسها سونا؛لأنّها تكره الأسماء التي على وزن كلمة مواء!

حكاية (٢)

الطّفلة الصّغيرة كانت ألعوبة الجميع،والجميع كانوا ألعوبتها،وزّعوا ملامحها وصفاتها على أفراد الأسرة جميعهم بمنطق المحاصصة،حتى أنّها كانت تشبه القابلة أم محمود بقدرتها على زمّ شفتيها كلّما انزعجت،إلاّ ابتسامتها الدّائمة لم يستطيعوا أن يعرفوا لها مورثاً،فعقد الحاجبين تقليد أسريّ ووطنيّ مقدّس،لذلك كانوا كلّما أرادوا أن يضحكوها يحزنوها بشدّة،فتخدعهم وتضحك بقوة كلّما أحزنوها،فكبرت مراوغة للمشاعر كلّها،تبكي عندما تفرح،وتضحك

عندما تحزن،وتأتي عندنا تغادر،وتغادر عندما تـأتي،ففرح الأهـل بهـذه الطّفلة المسلّية،وضحكت كثيراً لهم،ولم يدروا أنّ ضحكها بكاء!

حكاية (٣)

الطّفلة الصّـغيرة ذات طبـاع غريبـة،ترى مـا لا يُرى،وتـرتطم بالحائط؛لأنّها تصمّم على أنّ هناك باباً فيه،يأخذونها إلى طبيـب العيـون ليضع لها نظارة لتصحيح بصرها المعطوب،فيعطيها الطّبيـب بـدل ذلـك حلوى من النّوع الرّديء جبراً لخواطر الكبار لا لخاطرها الفولاذيّ غير القابل للكسر،واعتذاراً لهم عن صحّة بصرها!

في المساء تحدّث والديها بإسهاب عن الذّيل المشعوعر الرّطـب الذي تملكه إحدى قريبتها،وعن فكيّ القرش اللذين يملكهما الجدّ،وعن الأطفال الذين أكلتهم أمّنا الغولة التي تسكن الطّابق العلويّ،وعن دعوة حفل الرّبيـع الـتي وصـلتها مـن الجـدّ سـنفور في حقيبـة ضـفدع أزرق قفوز،وعن زعنفة السّمكة التي تملكها في جسـدها،وعن الأقـزام الـذين تربّيهم سرّاً في خزانة المطبخ،فيقـرّر الأب أن يأخـذها إلى طبيـب عيـون آخر يأخذ خمسةَ دنانير بدل دينارين،ولكنّه يجيد علاج ابنته ذات العيـنين المريضتين،والحكايا الحولاء،وتبحث لها الجدّة السّاذجة عن حجاب يقيها من العين الحسودة !أمّا الأم فتشتري لها قلماً ودفتراً لتكتب ما تـراه ولا يراه الآخرون؛فهي تعلم أنّ سونا ستكتب دون توقّف ما دامت على قيد الحياة.

حكاية(٤)

الطّفلة الصّغيرة تنعم بحبّ عريض،وبحشد من الأمهات،فماما ماما تعني والدتها،وماما(تيتيا) تعني جدتها،وماما (خالتو) تعني خالتها الوحيدة أو زوجة خالها الكبير التي تحبّها حدّ العبادة،وماما (صباح) تعني الجارة الشيشانيّة الجميلة،وماما (الغولة) تعني تلكم الأمهات جميعهنّ عندما تغضب منهنّ،وماما (الطّيّارة) تعبير تصف به كلّ امرأة لا تحبّها،فتشبهها بالسّاحرة الشّريرة التي تطير على مكنسة،فيضحك النّاس؛لأنّهم لا يعرفون معنى كلمة طيّارة وفق مفهومها،وتضحك هي لأنّهم لا يعرفون معنى ما تقول،وتتوعدها أمّها بالعقاب لوصفها النّساء بالطّيارات،ثم كعادتها لا تعاقبها؛لأنّها تكون مشغولة بالضّحك السّريّ من كلمات ابنتها الشّقيّة عن أيّ شيء آخر!

حكاية(٥)

حشد أمهاتها يؤمنّ بها،ماما ماما تحكي لها القصص،وتصدّق حكاياها الكاذبة جميعها،ماما(خالتو) تسمح لها بأن تفسد كلّ ترتيب بيتها ومطبخها لتصنع فيه ماهو على هواها كي تعبّر عن ذاتها بالأشكال كلّها حتى بالفوضى،ماما صباح تؤكّد أنّ عينيها الزّرقاوين هما هبة من الجيران الشّيشان والشّركس،ولذلك فقد ورثت بهما حكايا سوسروقة ونارت،وحظيت برؤية مائيّة للأشياء بدل رؤية صحراويّة جافّة،وماما (الشّيطانة) هي من تطاردها في أحلامها ويقظتها،وتنفث في نفسها قصصاً لم تعشها،لكنّها تجيد الحديث عنها،وقول بسم الله الرحمن

الرحيم، يبخّر ماما (الشّيطانة)،ولكنّ قصصها تظّل عالقة في خيالها حتى تمليها على والدتها في دفتر صغير،فهي لا تجيد الكتابة وهي ذات خمس سنين،وقصصها لا تجيد الانتظار حتى تكبر لتكتبها.

حكاية (٦)

هم يعتقدون أنّها أصغر من أن تخاف،والصّهاينة يريدونها أن تخاف وأن يخاف الجميع معها،وشبكات التّلفزة تبثّ بشكل مباشر مذابح مخيّم صبرا وشاتيلا،وهي تشاهد التّفاصيل كاملة بفزع صامت.

ينتهي الاجتياح،ويُوزّع الموت مجانيّاً على فلسطيني مخيّم صبرا وشاتيلا،وتشرع قنوات التّلفزة ببث أفلام عربية عاطفيّة تنتهي بقبل فمويّة ممطوطة وموسيقى رومانسيّة لا تعرف شيئاً عن عذابات الضّحايا الفلسطينيين،وتظلّ أكفان موتى صبرا وشاتيلا تطاردها،تتخيّل الموت يسكن ستائر البيت،فلا تنام،ولا تدع أحداً ينام،فيكون الحلّ الأسريّ المقترح لحالتها هو أن تصبح لاجئة عاطفيّة في بيت خالها حتى تنسى أكفان الموتى الملطّخة بالبياض.

يطول مقامها في بيت خالها،ينسى الجميع الأكفان إلاّها،تكتشف أنّها تخاف الأكفان؛لأنّها أجساد بلا وجوه وبلا ملامح،تشرع تتخيّل لها وجوهاً،وتتخيّل للوجوه حكايات ترويها لأترابها من أطفال الأسرة،فيأنس الأطفال بما يسمعون،وتكفّ الأكفان عن مطاردتها في اليقظة،وتسكن أعماق أحلامها للأبد.

حكاية(٧)

تتعلّم الكتابة والقراءة في أشهر قليلة،المعلّمات يسمّين هذا ذكاء،أمّها تسمّيه وراثة جينيّة،ولكّنها تعلم أنّ الحكاية هي السّبب،فهي تريد أن يتحرّر قلمها من سيطرة أمّها لتكتب ما تشاء ومتى تشاء دون أن تنتظرها بفارغ الصّبر حتى تنتهي من أعمالها المنزليّة الموصولة لتملي عليها ما تحاصره طوال النّهار في نفسها من حكايا قد تتفلّت منها،وتهرب بعيداً قبل أن تحبسها في ورقة أثيرة تجيد أن ترتبها في مكانها في الدّرج الوحيد في خزانتها الخشبيّة الخضراء القديمة.

حكاية(٨)

العالم يصبح أرحب عندما تمسك بالقلم،وتبدأ بالكتابة،تكتشف أنّ العالم كلّه مصنوع من مادة الحكاية،لذلك تفهم العالم بمنطقها،وتتعامل معه وفق منطق الشّخوص والزّمان والمكان والعقدة والتأزم والحلّ والرؤّية واللّغة،كلّ شيء في عرفها له حكاية،وهي تتقن فنّ الحكايا،ولذلك تأخذ علامات كاملة في المواد جميعها؛لأنّها مواد تجيد الحكايا،أمّا مادّة الرّياضيات فتخفق فيها دائماً؛لأنّ الأرقام لا تحبّ الحكايا،ولها منطق آخر لا تفهمه!

حكاية (٩)

الطّفلة الصّغيرة لها عادات غريبة،ولها دفتر أزرق صغير برّاق الغلاف تجمع فيه الكلمات الجديدة التي تسمعها،ولا تعرف

معناها،ولكنّها تُعجب بجرسها الموسيقي،تردّدها كثيراً بفرح حتى تـألف لفظها.البعض يرجّح أنّ الطّفلة مجنونة،الأم الخالة تراهن على مستقبلها المشرق الفيّاض بالمنى،ووالدتها تشرح لها معاني الكلمات الموسيقيّة التي تجمعها بفرح من يجمع أصداف من بحيرة مسحورة،ولا تعنيها آراء النّساء الطّيارات بما تفعل!

حكاية (١٠)

الطّفلة الصّغيرة تحصل على جمهور من القرّاء لقصصها التي تنتجها بطريقتها الخاصّة من مصروفها المدرسيّ بطريقة التّبادل الحرّ،فمقابل أن تقرأ صديقاتها ومعلماتها وزوجة خالها وأمها وأترابها في الأسرة قصصها،فهي تعطي شطائرها لصديقاتها في المدرسة،وتظلّ بلا طعام في الاستراحات المدرسيّة،وتكفّ عن شقاوتها في الحصص لإرضاء معلّماتها،وتنظّف المطبخ الذي دمّرته دماراً شاملاً في بيت زوجة خالها،وتنظّف سجادة الرّدهة في البيت إكراماً لأمّها،وتتنازل عن زعامة عصابة أطفال الأسرة لابنة خالها.

ومن يثبت بالدّليل القاطع بأنّه لم يقرأ القصّة بعد أن تهاجمه بالأسئلة عيار أرض جو،فهي تُعلن عليه حرباً طفوليّة لا تعرف هوادة أو صلح ،وتصفه :بالحمار الصّغير أو الكبير وفق درجة غضبها منه!

حكاية (١١)

الطّفلة الصّغيرة تحبّ الكلمة بتجلياتها جميعها،تحبّها مكتوبة بشكل حرفيّ،أو مغنّاة بشكل صوتيّ،أو مرسومة على لوحة،هي تجيد الرّسم كثيراً،وعندما تعيها الكلمات،ترسمها تفاصيل على ملامح وجوه من ترسمهم.تتجادل والدتها وزوجة خالها كثيراً في مضمار التّخمينات لمستقبلها،الأم تراها رسّامة شهيرة،وزوجة الخال تراها روائيّة مجيدة،وهي تبحث عن مبراة لقلمها،ولا تأبه بهذا الجدال المكرور.

حكاية (١٢)

الطّفلة الصّغيرة تحقّق كلّ ما تحلم به بمنطق الحكاية،فتهب وتحرم وتنتقم وتعشق وتبكي وتضحك وتنسى وتتذكّر وتمرض وتُشفى وتزور وتهجر بمنطق القصّة،حتى أنّها تنتقم بالقصّة؛فالذين تكرههم تحيك لهم حكايا شريّرة،والذين تحبّهم تصنع لهم حكايات ذات تغريبات هلاليّة وقصائد طلليّة،والقاهرة التي تعشقها ستزورها عندما تفوز بجائزة المجلس الأعلى للثقافة والفنون في حقل الرّواية،هذه هي الحكاية التي حاكتها عن زيارتها المأمولة للقاهرة.

تشارك في المسابقة السّنويّة برواية لها بعنوان(عازفة القانون) عمرها عندئذ لا يتجاوز العاشرة،تظلّ تسأل أمّها كلّ يوم إن كانت القاهرة قد اتّصلت بها أم ليس بعد؟ الأم تومئ لها بالنّفي،وتقول لها قد يفعلون ذلك غداً.وتنتظران معاً غداً الذي يأتي دون اتّصال من

القاهرة،هي لا تعرف لماذا لم تتحقّق حكايتها مع القاهرة،أمّا أمّها التي رافقتها حتى البريد المركزيّ في وسط عمان القديمة،ودفعت ثمن الطّرد المستعجل الذي حمل مشاركتها في خمس نسخ مطبوعة إلى القاهرة،فتعرف أنّ لا اتّصال سيأتي من جائزة عربيّة عريقة تشترط أن يكون عُمر المتسابق فيها فوق الأربعين،وترفض مشاركات الأطفال الطّامحين للفوز مثل ابنتها الصّغيرة ذات الأعوام العشر!

حكاية (١٣)

حكايتها الجديدة أنّها خلعت جسد الطفلة،ولبست جسد امرأة،كلّ شيء فيها غدا أكبر،إلاّ عينيها،فهما لم تصبحا أكبر،ولكنّهما أصبحتا أشدّ عمقاً،غدت تجيد أن ترى الحكايا في كلّ مكان،تراها على الجدران،في ظلال الأجساد،في سيرة النّظرات،في تقاسيم الأيدي،في جغرافيا الشّعر،في حسيس الحروف،في رائحة الأجساد،في نبض الأماكن،دائماً هناك حكاية،وهي تجيد أن تشمّها،أن تحسّها،أن تتذوّقها،أن تكتبها،دائماً هناك حكاية،البعض يسمّيها قاصّة،البعض يسمّيها موهوبة،البعض يسمّيها مجنونة،ولكنّها تعرف أنّها تملك عينين تجيدان الرّؤية خلف الرّؤية،وهذا سرّ سعادتها المتعسة الملغزة! ولسعادتها حكاية أيضاً.

حكاية (١٤)

الحياة هزيمة كبرى،وهـذه الحكايـة الأولى في عُرفهـا،وكي تنتصـر علـى الهـزائم لا تنقطـع تكتـب الحكايـا،من الهزيمـة صـنعت أطـواق النّجاة،ومن الموت صنعت بشراً لا يموتون،وفي الفقد زرعـت أطرافـاً لا تُبتر،وأعضاء لا تعطب،ووهبتها للمحرومين والمنكـوبين بعـد أن نبتـت أحلاماً وفرصـاً جديـدة،ومن سـنابل الجـوع صـنعت بطونـاً لا تعـرف الخواء،ومن عناقيد الحرمان جدّلت جدائل الألفة والسّكينة والحبور.هي لا تملك غير الحكاية،تهبها مجانـاً لكـلّ سـائل أو حـزين أو باحـث عـن طريق،تزرعها تحت مخدّتها،وتنام بعد أن تتعوّذ بها من الشّر كلّه الذي لا يمكن أن يمسّ امرأة تتمترس خلف فضيلة الحكاية!

حكاية (١٥)

الذين لم يأتوا حقيقة استولدتهم قهـراً في حكاية،الـذين مـا كـان يجب أن يأتوا نفتهم إلى حكاية بعيدة جداً،عليها فقـط أن تكتـب لتتغيّـر أقـــدارها كافّة،فهـــذه حكايتهـــا،امرأة تتحقّـــق حكاياتها،وأحيانـــاً تهاجمها،وكثيراً ما تعضّها! وغالباً ما تصيبها بصـداع السّـرد والتّفاصـيل الصّغيرة التي تتقن أن تجمعها بمهارة من كلّ مكان،وتدسّها بهدوء وتكتّم في جعبتها السّحرية! وتغادر المكان بصخبٍ مؤجّل.

حكاية (١٦)

للحكاية حكاية أيضاً؛ فالحكاية مراوغة مدلاع مغناج،لا تستطيع أن تستدرجها إلاّ بالخديعة العذبة،كلّما أرادت أن تكتب أوهمت نفسها بأنّها خارجة في موعد،فتلبس جديدها،وتتعطّر،وتتزيّن،وتحمل الورق الأزرق،والقلم السّائل الأزرق،وتهمّ بالخروج،فتندلق الحكايا عليها بنزقٍ طفوليّ ترجوها أن تذهب معها،فيكون شرطها أن تكتبها قبل الخروج،فتوافق الحكايا على شرطها الأوحد مجبرة مقهورة،أمّا إن لم ترد أن تكتب،فما عليها إلاّ أن تعلن أنّها لن تغادر البيت،وأنّها ستجلس في سريرها غير مهندمة كصورة بلا ألوان أو إطار حتى تهرب الحكايا منها نحو العدم!هكذا هو عالمها،بحر فيه مدّ وجزر من الحكايا،ووحدها من تستعذب الغرق والنّجاة فيه! ووحدها الحكاية من تهبها سبباً جديداً كلّ يوم لتستيقظ من نومها لأجله!

غالية سيّدة الحكايا

طريقة أمّها في سرد القصص هي أوّل ما عشقت في هذه الحياة،ولذلك كانت تحفظ كلّ كلمة ممّا تقوله أمّها عن ظهر قلب،وكأنّها نُقشت في قلبها بماء الخلود.لقد أصبح أبطال قصص طفولتها هم أصدقاءها الحقيقيين،فعروس البحر هي أختها الكبرى،وسندريلا هي صديقتها السّرية،والسّنافر هم رفاقها في سفرها،والشّاطر حسن هو من يدافع عنها،والأمير الطّيب سيتزوجها عندما تكبر،وسندباد سيأخذها في سفر طويل عبر البحار السّبعة. هي ضدّ الأشرار في القصص كلّها،كثيراً ما تحلم بهم،ويكادون يسبّبون الأذى لها،لكن أصدقاءها من عوالم القصص ينقذونها في كلّ مرة،ولذلك تتفاخر بهم دون انقطاع أمام الأقارب والجيران وأترابها في الصّف التّاسع.

كانت تعيش دائماً في قصّة جميلة،تروي قصصها للصّديقات،وتستفيد من تجارب أبطالها في حياتها،وتوظّف الأفكار الخيّرة في مواضيع التّعبير التي تكتبها في المدرسة عند المعلمة أزهار،فتحصل على علامات مرتفعة.فيما بعد قامت بابتداع شخصيّة وهميّة لقصصها كلّها،ركّبتها من الأرواح الجميلة التي قابلتها في حكاياها،فكانت خليطاً من الصّدق والمحبّة والوفاء والكرم والجمال والعون والإخلاص،وأسمتها الجنيّة مرمر.

حاكت الكثير من القصص حول مرمر،وكانت تحكيها دون ملل للصّديقات،حتى أسماها الجميع (غالية سيّدة الحكايا).ولكن في

اللّيل،وهي في السّرير،كانت تمارس متعتها الكبيرة المتمثّلة في سماع أمّها تروي لها قصة ما قبل النّوم،فتستمتع بتفاصيلها جزءاً جزءاً،وتُدهش بمفاجآتها،ولو كانت تسمعها للمرة العاشرة.

كانت غالية تعتقد أنّ الحياة قصّة جميلة مثل سائر القصص الجميلة التي ترويها أمّها لها،فقد كانت تظّن أنّ الأحداث السّيئة تحدث فقط في القصص،ولكن في الحياة لا وجود إلاّ للسّعادة الدّائمة التي تعيشها في منزل جميل يضجّ بالضّحك واللعّب وحكايات أمّها الشائقة،وصوت أبيها الحنون،ومشاكسات أختها الصّغيرة عالية.لكنّها اكتشفت أنّ العالم قد يصبح قبيحاً في لحظة واحدة،كذلك قد يصبح شريراً دون يسمح لها أن تستعين بأصدقائها أبطال القصص كي تنتصر بهم على أحزانها ومخاوفها.

كلُّ ذلك حدث عندما اكتشفت أنّ أمّها لم تسافر في رحلة عمل لأيام قصيرة مع الشّركة التي تعمل فيها كما أُخبرت سابقاً،بل إنّها ترقد على سرير الشّفاء في مستشفى العاصمة للسّرطان تصارع بجسدها الصّغير الضّعيف مرض السّرطان الذي هاجم جسدها منذ أشهر دون أن تشعر به إلاّ عندما أصبح قوياً مسيطراً على مساحة كبيرة من جسدها.اكتشفت ذلك بالصّدفة،فعرفت سرّ بكاء والدها في اللّيل،وسبب عدم اتصال أمّها بها طوال أيام سفرها المزعوم.

حزنت غالية حزناً كبيراً على أمّها،وصمّمت على زيارتها في المستشفى على الرّغم من معارضة الأهل والأقارب لهذا الأمر؛خوفاً

عليها من الحزن،فهي في رأيهم أصغر سنّاً من أن تواجه الحزن وحدها،ولكنّها كانت مصمّمة على أن تسمع حكاية المساء لهذا اليوم من أمّها الحبيبة.

عندما دخلت حجرة والدتها في المستشفى برفقة أبيها وأختها وجدّها لأبيها أحزنها أن ترى أمّها وحيدة ضعيفة دون شعر ترقد في سريرها،وكأنّها نائمة منذ ألف عام،طبعت على خدّها قبلة طويلة،ففتحت أمها عينيها بصعوبة،فقالت لها غالية برفقٍ:"لقد جئت يا ماما كي أحكي لكِ حكاية،كلّ يوم صباحاً ومساء سأحكي لك حكاية حتى تشفي.الحكايات تمدّ النّفس بالسّعادة والقوّة.أليس كذلك يا ماما؟"

ابتسمت الأمّ بصعوبة،وحضنت غالية بضعف وعناء،وقالت لها:"نعم يا غالية احكي لي في كلّ يوم حكاية؛فحكاياكِ سوف تهب الحياة لي".

- وهل ستنتصرين يا ماما على المرض؟ وتعودين معنا إلى البيت؟" سألت غالية برجاءٍ.
- "هذا يعتمد على جمال حكاياكِ ياغالية. أجابت الأم بابتسامة ترسمها بصعوبةٍ على وجهها الشّاحب.
- إذن سأملأ الدّنيا بالحكايا كي تشفي يا أمي." قالت غالية بحماسٍ وأمل وإصرار.
- "قولي إن شاء الله يا غالية".قالت الأم.

- "إن شاء الله سوف أملأ الدّنيا بالحكايا كي تشفي يا أميّ. ردّدت غالية وهي تغالب دموعها التي تحشرج في روحها.

فتحت الأم ذراعيها مشيرة إلى ابنتيها غالية وعالية كي تأتيا إلى حضنها،وقالت لهما: "تعالا هنا إلى حضن ماما،سنملأ العالم بالحكايا الجميلة كي ننتصر على الموت،وسوف تظلاّن جميلتين تطيعان والدكما،وتقومان بواجباتكما المدرسيّة،وتنامان مبكّراً بعد شرب الحليب كي تستيقظا بكامل قوتكما ونشاطكما من أجل الذّهاب إلى المدرسة.أليس كذلك؟"

-" نعم يا ماما" أجابت غالية وعالية بطاعة ورضا.

قرأت غالية الكثير عن مرض السّرطان،وعرفت أسبابه وأشكاله وعوارضه،وكذلك قرأت الكثير عن ضحاياه،وعرفت أنّ سرطان الثّدي الذي أصاب والدتها هو من الأنواع الشّائعة جداً بين النّساء بعد سنّ الثلاثين،وهو نوع خطير إن لم يُعالج في مراحله الأولى،ولكن الخبر السّار أنّه يمكن الشّفاء التّام منه عند تلقّي العلاج في الوقت المناسب،وهو في الغالب العلاج الكيميائيّ الذي تسبّب في سقوط شعر أمها،وفي إنهاك جسدها بشكل عام،فهو طريقة ناجعة لقتل المرض الذي يهاجم جسدها من الدّاخل،ومن حسن حظّ أمّها أنّ المرض في مرحلته الأولى عندها،ولذلك سيكون من الممكن أن تُشفى منه بشكل كامل،إن أراد الله ذلك،وإن التزمت بالعلاج كاملاً،وقاومت المرض،وأصرّت على الحياة،وعلى عدم الاستسلام للموت.

قرّرت غالية أن تحرّض أمها على مقاومة المرض،والانتصار على الموت،وطريقها إلى ذلك هو الحكايا،ولذلك ستحرص على أن تمدّها بالقوة والإصرار عبر حكاياها،كما كانت أمّها في الماضي تمدّها بالقيم الرفيعة والأخلاق الحميدة والدّروس المفيدة عبر قصصها التي ترويها لها.

في كلّ يوم بعد العودة من المدرسة،وتناول طعام الغداء بسرعة وعجل كمن يعدو أمام نعامة تذهب غالية إلى زيارة أمّها في المستشفى برفقة والدها،تقبّلها،وتمسّد بأناملها الصّغيرة على رأسها،وتبدأ حكايتها عن صديقتها الجنّيّة مرمر،وفي كلّ مرة تبدأ حكايتها بالبداية ذاتها التي تقول:"اليوم هو عيد ميلاد الجنّية مرمر،وقد بلغ عمرها ثلاثمائة سنة،ولكنّها في عمر الجنّ لا تزال فتاة صغيرة،وهذه أوّل مرّة يُسمح لها فيها بأن تخرج من سلطنة الجنّ الأزرق،لتزور مملكة الإنس بمفردها دون مرافق أو حارس أو مدرّب أو حتى معلّم.وهي سعيدة جدّاً بهذه الزّيارة التي كانت تنتظرها منذ مئة عام،ولكنّها ما كانت تستطيعُ أن تقوم بها قبل أن تصل إلى سنّ الثّلاثمئة عام،وهو سنّ السّفر الحرّ في قانون سلطنة الجنّ الأزرق".

"وقد تهيّأت منذ شهرٍ لهذه الزّيارة التي كانت أعدّت لها طويلاً،ولكن أكثر ما يعنيها في هذه الرّحلة هو أن تثبت لمعلّمها الأعلى في مدرسة الجنّ الأزرق للأخلاق النّبيلة أنّها تستحقّ تصريحاً دائماً لزيارة بلاد الإنس،وهذا التّصريح بمثابة إجازة علميّة رسميّة لتمارس

طاقاتها السّحريّة وقدراتها الخارقة التي تملكها بحكم أنّها جنّيّة مواطنة في سلطنة الجان الأزرق،ولكّنها لا تستطيع أن تمارسها دون الحصول على إجازة رسميّة لذلك".

"ولا يمكن أن تحصل على هذا التّصريح إلاّ بعد أن تنجح في المهام التي يسندها إليها معلّمها الأعلى في مدرسة الجنّ الأزرق للأخلاق النّبيلة،ومهمتها لهذا اليوم في عالم الإنس هي..."

وعندها تبدأ غالية بسرد حكايتها لهذا اليوم،وهي دائماً حكاية تستثمر ما مرّت به أمّها من معاناة مرض كي تحفّز قوّتها،وتدعوها لمقاومة السّرطان الذي يغزو جسدها،ويحرّضها على عدم الحزن على ما أصابها،والإصرار على الشّفاء؛فتارة يكون على مرمر أن تعيد إلى امرأة قصص شعرها الجميل الذي سرقه مرض ما منها،وتارة ثانية يكون عليها أن تقاوم إلى جانب رجل يريد وحش أن يأكل ابنته الجميلة،وتارة ثالثة عليها أن تكون في مساعدة أخ حنون عليه أن يقطع عشرة جبال على قدميه كي يحضر لأخته الصّغيرة علاجاً من لدغة أفعى شريرة،وتارة رابعة يكون عليها أن تستعيد أميرة من مملكة الظّلام بعد أن خطفها شبح شرير،وتتوالى الحكايا التي لا تملّ غالية من سردها،وأمّها تسمعها باهتمام،وتتقوّى بها على الآلام والتّجارب الصّعبة التي تمرّ بها في رحلة علاجها،أحياناً يكون تأثير الحكايا أقوى من الألم،وفي أحيان أُخر يكون تأثير الألم أقوى من الحكايا،لكنّها في الأحوال كلّها مصمّمة على المقاومة من أجل الحياة،ومن أجل غالية وعالية.وكلّما شعرت

بالضّعف والهزيمة،تضمّ ابنتيها الصّغيرتين إلى صدرها كي تشعر بالمزيد من القوة التي تستمدّها من حبّهما لها،ومن حكايات غالية.

سريعاً ما انتشرت حكايا غالية المقاومة للموت والمرض في أرجاء مستشفى علاج السّرطان،وكثيراً ما طلبها المرضى لتحكي لهم بعضاً من حكاياها،ثم باتت تتبرّع بكلّ حماس بزيارة المرضى لتحكي لهم حكاياتها،ولتشجّعهم على الصّمود،في البداية كانت تحكي لهم قصصاً مستمدّة من صمود أمّها في وجه المرض،وبعد أن سمعت حكاياهم في الصّمود في وجه مرض السّرطان،وعرفت حالاتهم المرضيّة،باتت تستثمر هذه التّفاصيل في بناء المزيد من الحكايا التي ترويها لأمّها كي تستعين بها على الصّمود في وجه المرض،وكي تعلم أنّها في حالة صحيّة جيّدة ومبشّرة بالشّفاء مقارنة مع غيرها من المرضى والمريضات.

مرمر بطلة حكايا غالية جعلت الأم تعرف أنّها في خير مقارنة مع المريضة نجاح التي استأصل الأطبّاء ثدييها بسبب السّرطان،وهي أفضل حالاً من مراد الذي فقد صوته للأبد بسبب السّرطان الذي أكل حنجرته،كذلك هي أفضل حالاً من الشّيخ عمر الذي فقد مترين من أمعائه التي هاجمها السّرطان،وأفضل حالاً بكلّ تأكيد من الشّاب هاشم الذي فقد قدمه اليمنى بسبب السّرطان.وفي الوقت نفسه جعلت المرضى جميعهم يعرفون أنّهم في خير حال؛لأنّهم لا يزالون أحياء،في إزاء الكثير من المرضى الذين ماتوا بعد أن انتصر المرض عليهم.

حكايا في كلّ مكان،والأيام والأسابيع والأشهر تمضي،وأم غالية تنتصر بالتّدريج على المرض،وتُشفى تماماً،وتستعيد شعرها الجميل،وصحتها السّابقة،وتغادر المستشفى لتعود إلى حياتها مشافة من أيّ علّة.أمّا غالية فتزور المستشفى مرتين في الأسبوع في عطلتها الأسبوعيّة من المدرسة،وبشكل يوميّ في عطلتها الصّيفية لأجل أن تحكي الحكايات لمرضى السّرطان لعلّهم ينتصرون بها على المرض اللّعين.

العيون التي ترى

يتصرّف فريد وكأنّ لا أخ له،الحقيقة أنّه يكاد يتعمّد مع سبق الإصرار والتّرصّد والحنق والقسوة أن ينسى أخاه بشكل كامل،فهو لا يلعب معه،ولا يكلّمه،ولا يرافقه في أيّ زيارة،ويصرّ على أنّه يخجل من أن يعرّفه على أصدقائه أو على أن يسير معه في الشّارع؛لأنّه قد وُلد مصاباً بمرض ملازم،كان حلمه أن يكون له أخ يرافقه في كلّ مكان،وأن يشاركه في درب رحلة الحياة،ولكن آماله كلّها خابت عندما جاء أخوه مراد إلى الحياة على حال يختلف عن سائر أقرانه وأترابه،الأطباء يسمّون مرضه بـ(متلازمة داون)،والعامّة الدّهماء من النّاس تسميّه (الطّفل المنغوليّ)،وأيّاً كان اسم هذا المرض،فالنّتيجة المحزنة هي أنّه لا يستطيع أن يحقّق أحلامه مع هذا الأخ المريض الذي لن يعيش طويلاً كما أخبرهم الأطباء مراراً وتكراراً.

لا يحمل الكثير من الذّكريات مع أخيه مراد،بل لا يتذكّر أنّ صورة فوتوغرافيّة قد جمعتهما في يوم من الأيام،سنين طويلة مضت وهو يرفضه رفضاً حاسماً،والآن قد نسي تماماً أنّه يفكّر في أن يقترب من أخيه ولو لمسافة سنتمتر واحد،وما فائدة ذلك،وهو لا يعرف عنه أيّ شيء؟! لا يعرف ماذا يحبّ،أو ماذا يكره،متى يأكل،وماذا يأكل،ومتى ينام،وكيف يقضي أوقاته.تقريباً هو لا يعرف عنه شيئاً،كلّ ما يعرفه حقّ المعرفة هو أنّه يرفضه تماماً،ولا يريد أن يكون في عالمه بأيّ شكل من الأشكال.

وقد استطاع أن يلتزم بهذا القرار القاسي لسنوات طويلة من عمريهما،والآن بعد أن بلغ السّابعة عشرة من عمره،وبلغ أخوه مراد التّاسعة من عمره يجد أنّ الهوّة بينهما اتّسعت إلى الحدّ الذي يجعله في مأمن من التّواصل معه أو الاعتراف به.

هذا الحال كان يؤلم والده الذي يعمل في إحدى الدّول الشقيقة مستشاراً لإحدى المؤسّسات القانونيّة الكبرى،كما كان يعذّب أمّه التي ترى طفلها مراد وحيداً في هذا العالم دونها،حتى أنّ أخاه الوحيد يرفض الاعتراف به،لا لجريمة اقترفها،ولكن لأنّه وُلد مصاباً بمرض(متلازمة داون).لكنّها بعد سنين من المحاولات الفاشلة للتّقريب بين ابنيها استسلمت للفشل والصّمت والحزن والفرار بابنها الصّغير المريض نحو حضنها حيث الحنان كلّه والعطف والقبول والامتنان لله الذي وهبها إيّاه أيّاً كانت حالته.

كان فريد مصمّماً على الالتزام بموقفه من أخيه الصّغير المريض،ولكنّه وجد نفسه بلعبة قدريّة خفيّة ومحكمة وجهاً لوجه مع أخيه ووحدهما في هذا البيت؛لقد تعرّض والده لأزمة صحيّة طارئة،وكان لزاماً على والدته أن تسافر إلى زوجها لتكون إلى جانبه،وما كانت الظّروف تسمح بأن تصطحب مراداً معها،والجدّة عائشة مسافرة لزيارة ابنتها في أمريكا،ومدرسة مراد للحالات الخاصة تُغلق أبوابها بسبب إجازتها السّنويّة.وهكذا كان فريد هو المرشّح الوحيد والطّبيعيّ لرعاية أخيه مرا إلى حين عودة أمّه من سفرها.

في بادئ الأمر رفض ذلك بشدّة،وثار على هذا القرار،وأرعد وأزبد،وتوّعد أمّه بالهرب من البيت إن ألزمته بهذه الرّعاية،ولكنّه وجد نفسه شاء أم أبى موكلاً برعاية أخيه مراد حتى عودتها من سفرها الذي أمّل نفسه بأن لا يطول أكثر من أسبوع كما وعدته بإخلاص.

شعر بغضب شديد من أخيه مراد،وكأنّه المسؤول عن هذه الأزمة،ثم شعر بالغضب من أمّه التي وضعته في هذا المأزق،ثم خلص إلى أن والده هو السّبب في أن يكون الراعي لأخيه،وفي نهاية المطاف استسلم لقدره،ولاحظ نادماً أن أخاه لا يزال يجلس في الأريكة ذاتها منذ ساعات يراقبه في ثورة غضبه،ويتابع خطواته ذهاباً وإياباً في الغرفة،ولابدّ أنّه قد جاع الآن بعد ساعات من عدم الأكل،ولعلّه عطشان أيضاً.حاول أن يحفّز نفسه على الهدوء من أجل أن يعدّ له شيئاً من الطّعام،ولكنّه شعر عندها بالمزيد من القهرِ والغيظ،طالع عقارب ساعته أكثر من مرّة،وكأنه ينتظر أن ينتهي الأسبوع في لمحة عين،لتنتهي هذه المهمة التي لا تروق له،وعندما وجد عقارب السّاعة تسير ببطء غير آبهة بانتظاره ورغبته التي تملكه،انخرط في بكاء شديد،وأغرق رأسه بين كفيه آسفاً مقهوراً.

فجأة أحسّ بيدين صغيرتين ناعمتين تقتربان منه،وتمسحان دموعه،وتقولان له:" لا تبكِ يا فريد،أنا أحبّك.كُل من هذا الطّعام" .رفع رأسه،فوجد أخاه مراداً أمامه مباشرة،يحمل له بعض الشّطائر وكأساً من عصير البرتقال على صينيّة خشبيّة،ويقف أمامه ذليلاً ضعيفاً منتظراً

رضاه عنه،حدّق فريد في وجه أخيه لأوّل مرّة في حياته،فشعر بارتياح وهو يرى تلك الملامح الملائكيّة التي تغمر أخاه بسكينة مدهشة،ولفت نظره أنّ عينيّ أخيه أصغر من المعتاد،ولكنّه لاحظ فيهما نظرة عميقة،لم يرها في أيّ عينين من قبل؛فقد رأى فيهما فهماً عميقاً لحزنه،وشعر بأنّه يقول له بحزن وانكسار:" سامحني لأنّني مريض،ولا أستطيع أن أكون الأخ الذي تحلم به".

أحسّ فريد بخجل بارد يجتاح روحه،فيجمّدها،وشعر بأنّه يرى أخاه لأوّل مرة في حياته،أخذ الصّينية من أخيه،ووضعها في حضنه،وأجلس أخاه إلى جانبه على الأريكة،وشرعا يأكلان من الشّطائر التي أعدّها مراد،وانخرط يراقب الفرحة العميقة التي ترقص على وجه أخيه؛لأنّه يجلس إلى جانبه،ويشاركه في تناول الشّطائر.

اليوم الثّاني كان يوم جمعة،وهو يوم العطلة المدرسيّة عند فريد،كان معتاداً على أن يقضي هذا اليوم مع أصدقائه،ولكنّه قرّر أن يقضي هذا اليوم في حديقة المنزل مع أخيه مراد؛فهو في الأحوال كلّها لا يستطيع أن يصحبه معه خارج البيت برفقة أصدقائه.

وضع له بعض الألعاب ليلهو بها،وتركه لبعض الوقت كي يستحم،ويغسل ملابسهما،عندما عاد وجده يداعب كلب الجيران بكلّ حبّ،ويلاعب طفلتهم الصّغيرة،ويضحك بانفعال وسعادة،عجب منه كيف استطاع أن يلعب مع كلب الجيران وهو معروف بالشّراسة،وبأنّه يعقر كلّ من يقترب منه،وكيف استطاع أن يلعب مع ابنة الجيران التي

ترفض أن تلعب مع أيّ بشر،وتبدأ بالبكاء والصّراخ إذا ما اقترب منها أيّ أحد من خارج أسرتها،اقترب من أخيه مراد،وجلس على مقعد خشبيّ قريب،وأخذ يراقبه وهو يداعب الكلب بحنان،ويطعمه بعضاً من قطع اللّحم الصّغيرة التي كانت في شطيرته التي أعدّها له،وكيف يحمل الطّفلة الصّغيرة على ظهره،ويقعي على الأرض،ويمشي على أربع،وكأنّه حصان فخور بفارسه،كان أخوه يملك من الحنان والمحبّة ما لم يملكه في يومٍ له.

بعد ساعتين من اللّهو والتّعب،نامت الطّفلة الصّغيرة في حضن مراد،ونام الكلب إلى جانبهما،ونام هو معهما.تأمّل فريد هذا المنظر الجميل من التّآلف والتّحاب تأمّلاً طويلاً،ثم حمل الطّفلة الصّغيرة،وأوصلها إلى بيتها،ثم حمل أخاه الصّغير لأوّل مرة في حياته،وطبع قبلة سريعة على جبينه العريض،ودخل به إلى البيت،ليضعه في سريره.

في اليوم الثّالث كان على فريد أن يصطحب أخاه معه إلى مدرسته،فعنده امتحانات يجبّ أن يتقدّم لها،وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يترك أخاه وحده في البيت.في الصّباح عندما قابل أصدقاءه في المدرسة كذب عليهم،وقال لهم إنّ هذا الطّفل الصّغير المريض هو أحد أقربائه،وألزمه بأن يبقى صامتاً.كاد الأمر يمرّ على سلام،لولا أن تدخّل صديقاه جابر ورعد في الأمر،وسخرا من ملامح وجه مراد،عندها انفعل فريد انفعالاً شديداً، وشعر بالقهر على أخيه الصّغير،ودخل معهما في

مشاجرة جسديّة عنيفة،تسبّبت في أن يأخذ إنذاراً وإيّاهم من مدير المدرسة على تورّطهما في هذه المشاجرة.

كان فريد يقود درّاجته بغضب وصمت في طريقة عودته إلى البيت،ومراد يطوّق خصره بيديه الصّغيرتين متمسّكاً به خوفاً من أن يقع عن الدّراجة التي تسير بتهوّر بين ازدحام السّيارات.سأل مراد أخاه بعد أكثر من أربع ساعات من الصّمت منذ مشاجرة الصّباح:" لماذا ضربت ذلك الفتى وصديقه يا فريد؟"

-" لأنّه سخر منك يا مراد".أجاب فريد بعصبيّة.

-" ولماذا سخر منّي يا فريد؟". سأل مراد باهتمام ودهشة.

-" لأنّك...." وصمت فريد،ولم يكمل كلامه.

قال مراد بنبرة جميلة دافئة بريئة:" هو يسخر مني لأنّ وجهي مختلف عن وجهه.أليس كذلك؟ أنا أيضاً أسخر منه؛لأنّ قلبه مختلف عن قلبي،فقلبي يحبّ النّاس كلّهم،ولذلك هو سعيد،وقلبه لا يحبّ أحداً،ولذلك هو غير سعيد.كان عليك أن لا تضربه".

-" وماذا كان علي أن أفعل؟" سأل فريد بفضول.

-" كان عليك أن تتعامل معه برفق،وهكذا يصبح صديقك". أجاب مراد بثقةٍ.

-" ومن أين تعرف ذلك يا مراد؟".سأل فريد بدهشة.

-" من عيني، هما تريان الأشياء بشكل جيّد"

-"تريان ماذا بالضّبط؟" سأل فريد بدهشةٍ.

-" هما تريان وحسب".أجاب مراد باقتضاب،ثم صمت،وشرع يراقب النّاس والسّيارات في الشّارع،ويبتسم للجميع سواء ابتسموا له أم لم يبتسموا.

في المساء،طبع فريد قبلة على جبين مراد،وهو يضعه في سريره بعد أن حمّمه،وقدّم له طعام العشاء كي ينام،لكنّ مراداً احتجّ على وضعه في سريره،وقال:" ولكنّني لم أصلِّ العشاء بعد.عليّ أن أصلّي ثم أنام".دّهش فريد ممّا سمع،وسأل أخاه برفق:" هل أنت ملتزم بالصّلاة يا مراد؟"

-"طبعاً.علينا جميعاً أن نصلّي شكراً لله على نعمه".أجاب مراد بحماسٍ وثقة بما يقول،وقفز سريعاً خارج سريره،وهرول نحو المغسلة،وتوضّأ،وعاد إلى الحجرة ليقف على سجادة الصّلاة،كبّر بصوت طفوليّ طاهر،وانبرى يصلّي،وقف فريد يراقبه،وشعر بأنّ لأخيه عينين كبيرتين تريان ما لم يره في حياته،حتى أنّهما تريان الجنّة والنّار والموت والحساب،وهتفت بنفسه مناجياً نفسه:" إن كان أخوك الصّغير المريض يصلّي،فما الذي يمنعك أنتَ من أن تصلّي؟".

ردّت أعماقه مجيبة على سؤاله:" لاشيء يمنعني من أن أصلّي". أسرع إلى المغسلة،توضّأ سريعاً،ووقف إلى جانب أخيه على سجادة

الصّلاة التي أحضرها من غرفة أمه،ورفع يديه إلى السّماء،وقال:" الله أكبر...."

في صباح اليوم التّالي استيقظ فريد وهو يشعر بألم شديد في حلقه وفي أطرافه،كذلك يشعر بصداع كبير في رأسه،قدّر أنّه قد أُصيب بانفلونزا بسبب أكله المثلّجات الباردة في اليوم المنصرم.أراد أن يغادر السّرير،لكنّه لم يستطع،فقد كان يشعر بألم في عظامه وفي أطرافه،وبهبوط عام في جسده.شعر بعطش كبير،نادى طالباً حضور مراد،فجاءه مهرولاً يحمل له كأس ماء،وابتسامة كبيرة تعلو على وجهه الوضيء،وقال له:" أتريد كأساً من الماء؟".

أمضى فريد ثلاثة أيام في سريره مريضاً بالحمّى،كان مراد لا يفارقه فيها،يقدّم له الشّطائر التي لا يجيد أن يصنع غيرها،ويحّضر له عصير البرتقال الطّبيعيّ الذي يعصره بالمعصرة اليدويّة كما علّمته أمّه،ويفتح نوافذ غرفته في الصّباح كي تدخل أشعة الشّمس إلى المكان،ويتابع معه برامج الأطفال على التّلفاز،ويقول له حكاية عندما تقترب ساعة النّوم في المساء،ويحضر له الماء كلّما طلب أو لم يطلب،ويضع له على جبينه كمّادات الماء الباردة،ويبدّلها بأخرى عند الحاجة،ويضع له زهوراً في زهريّة غرفته بعد أن يقطفها من حديقة البيت،وينام إلى جانبه في سريره خوفاً عليه من أن يمرض أكثر إن ابتعد عنه.

كان فريد أثناء مرضه يراقب أخاه بدقّة،ويرى تلك السّعادة الـتي تسكن قلبه الطّيب الذي يقوده إلى حبّ النّاس والحياة والأشـياء،فيجيد أن يلعب مع الكلب،وأن يلهو مع الأطفـال،وأن يلاحـق الفراشـات في الحديقة،ويعدّ حتى مئة دون خطأ،ويصنع عصير اللّيمون بسعادة،ويرتّب البيت،ويظلّ يسأل دون ملل:" هل حان وقت الصّلاة"،وعندما يقف على سجادة الصّلاة،ويقول:" الله أكبر" يمـلأ السّـكون والخشـوع نفسـه،ويلتزم بأوامر أمّه حتى وهي غائبة،يوزّع ابتسـامته في كـلّ مكان،فالابتسـامة لا تفارقه حتى وهو نائم.فيسخر فريد من نفسه ؛لأنّه حرم نفسـه لسـنوات طويلة من الاستمتاع برفقة هذا الملاك الأرضيّ الجميل،ويجرّم نفسه على ذلك،ويقسم على أنّه لن يضيّع على نفسه الفرصـة السّـانحة مـن أجـل ذلك أبداً.

وفي اليـوم الرّابـع مـن مرضـه جـاء بعـض أصـدقائه لزيارتـه في بيته،وللاطمئنان على صحته،أحضروا معهم باقة زهور كبيرة،كان مـراد في استقبالهم،حمل الباقة،وركض بها نحو أخيه ليضـعها في حضـنه.سـأل أحد الأصدقاء:" أليس هذا الطّفل هو أحد أقربائك؟"

صمت مراد وكأنّه يشعر بالذّنب لأنّه يقف في المكان،وطالع وجه أخيه باضطراب.ابتسم فريد،وقال: " لا. هذا ليس قريبي، بـل هـو أخـي الصّغير،بالتّحديد هو أخي الوحيد والحبيب.يملك أفضل عينين في الدّنيا، يستطيع أن يرى بهما المحبّة والخير،ولاشيء غير المحبّة والخير".

شعر مراد بسعادة غامرة،فهذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها فريد يناديه بكلمة أخي،قفز على السّرير،وحضن أخاه،وطبع قبلة طويلة على خدّه،وقال لك:" أنا أحبّك كثيراً يا فريد".

"وأنا أحبّك أكثر يا مراد". أجاب فريد بحنان غامر.

كانت السّاعة العاشرة صباحاً عندما فُتح باب البيت على مهل،ودخلت الأم برفقة زوجها،وضعا حقائبهما على الأرض قرب الباب،ودلفا إلى حجرة فريد بحثاً عنه وعن أخيه،فوجداهما نائمين في سرير واحد،أحدهما يحضن الآخر،وأشعة الشّمس التي تتسّلل من نافذة الحجرة تغمر جسديهما بالدّفء،ووجهيهما بالنّور والبهاء،دُهش الوالدان من هذا المنظر.سألت الأم بفضول:" ما الذي يحدث هنا؟".

استيقظ مراد على صوت أمه،ففرح لرؤيتها،وقفز من سريره إلى حضنها،وتعلّق برقبتها،وقال لها،وهي تطبع قبلة على جبينه:" إنّه فريد،لقد أحبّني أخيراً يا ماما،ولم يعد غاضباً منّي؛لأنّني مختلف".

حدث في مكان ما

(١)

حكاية الحكاية

الحكاية تريد أن تهرب من التّسكع،وأن تركن إلى الخلود،جرّبت أن تسكن السّماء؛فغدت إيماناً ودعاء وفضيلة،فأصابها الملل من ذلك عندما اشتهت الخطيئة،رحلت إلى الجسد والشّهوة،فأنهكتها لعبتا الجوع والإشباع اللّتان لا ترتويان،صادقت القلوب فأحرقها الوجد،طاردت العقل فأعياها المنطق،صادقت القوة والمال والجاه فخذلتها السّعادة، تنسّكت في الجبال فهزمتها شهوة حلمها الكبير في الخلود،ثارت على نفسها،وانضمّت إلى صفوف الثّوار في كلّ مكان،وحالفت الرّفض أينما حلّ في أنفس الشّرفاء،فأصبحت حكاية البشر الباحثين عن العدل،سطّرت فيها قصص من نذروا أنفسهم للنّور والحقيقة،نسيت حلمها البائد بالخلود،وبات حلمها أن تصبح حكاية كلّ من سُرقت حكايته،وكذلك كان.

(٢)

الكلاب

كلّما اشتدّ تعقّلاً غار لسانه في حنجرته أكثر حتى كاد يستقرّ جبراً في بطنه،وكلّما نما صمته ارتدى قطعة ملابس جبريّة أخرى تليق بصمته الآسر المأسور؛ ليبدو مهندماً بما يليق بقهر الصّمت. كان ثرثاراً عارياً قبل أن يأكل القطار والده ويتركه يتيماً،عندها ألبسوه ملابس المدارس الابتدائية ليعالجوا أمّيته بعد أن عجزوا عن أن يعالجوا تلعثم لسانه،ثم لبس البذلة عندما تخرّج من الجامعة بعد أن ضاع نطقه تماماً بسبب موت صديقه تعذيباً في المعتقل،أمّا عندما عاين جهاراً العدو يجتاح وطنه،وأصدقاءه في الثّورة يصافحون العدّو،والوطن يحتضر،خلع أخيراً صمته،وانطلق عارياً نحو الجبل دون خوف أو عقل وهو يصيح: "كلاب".

(٣)

السّجون

سجن الإيمان خارج عقله كي لا تجوع معدته؛لأنّه حُرم من وجبات ثلاثة متعاقبة لأنّه تجرّأ وسأل عن مكان سكنى الرّب،سجن قلبه خارج جسده كي لا تقطّعه عصا والده من جديد؛لأنّه يتأوّه مع أمّه تعاطفاً كلّما ضربها والده بحجّة القوامة والتّأديب،سجن صوته في حنجرته عندما كسروا قلمه باسم القانون؛لأنّه تجرّأ وسأل لصاً وطنيّاً

كبيراً:"من أين لك هذا؟"،لكنّه أصبح خارج سجونه القسريّة،وغدا سجناً للسّجون عندما همس في أذنها المشنّفة لكلماته:"أعشقكِ".

(٤)

لا

السّماء غدت أبعد عندما هجّروها عن طفولتها مبكراً وكسروا لعبتها الأثيرة لأنّها فتاة،عالمها بات بلون واحد،وهو الأسود عندما علّمتها أمّها أن الجنس هو قذارة،وأنّ العشق جريمة،نسيت فمها وعينيها ويديها في العجز عندما قصّوا شعرها بجريمة وردة حمراء مجهولة المصدر تنام سرّاً في كرّاستها.صدّقت أنّها جارية عندما اغتصبها ذلك الوغد مراراً وتكراراً كبقرة باسم الزّواج، خاصمت نفسها لأنّها مخلوقة على هيئة امرأة. لكّنها غفرت لنفسها عندما تعلّمت أن تقول: لا لكلّ من يضطهدها،وتترنّم بها كلّما تاقت نفسها للانعتاق والجمال والسّماء القريبة والألوان البهيجة وروحها المسحوقة بجريمة أنوثتها .

(٥)

مطاردة

قدره أن يعيش مطاردة جبريّة ملعونة لا ترحل،منذ كان يطارده الفقر والحزن والوحدة والسّمنة المفرطة بسبب هرمونات شاذّة تعبث به.

العجيب أن مطارديه يدركونه في كلّ مرّة،أمّا هو فمنذ زمن يطارد حبيبة لا تجيء،ووالداً حنوناً يعوضه عن تاريخ قسوته معه،وبيتاً

جميلاً يكون له وحده،ووظيفة تطعمه بكرامة.ولكنّه لا يدرك أيّاً من ذلك.ينصت إلى صوت المغنّي منبعثاً من سيارة الأجرة التي يعمل عليها ليل نهار مطارداً لقمة عيش تجيد الهرب،ويغنّي معه ساخراً:" ما أحلى حياتنا الهنيّة!"

يشير له شرطي السّير بالوقوف،يشرع يحرّر له مخالفة لم يرتكبها كما اعتاد دائماً أن يفعل،يمسك حجراً،ويبدأ يحطّم دراجة الشّرطي ثم رأسه،وهو يهتف بقرف:"ما أحلى حياتنا الهنيّة!"

يوميّات إنسان مهزوم

تتشابهُ تفاصيل النّاس المهزومين في هذا الكوكب،حتى لا تغدو هناك أيّ أهمية للأسماء أو الأزمان أو الأماكن؛فالحدث والمصير هما البطلان في هذه اليومّيات التي كتبَ فيها إنسان مهزوم بامتياز،إذ لا يتذكّر تاريخاً بعينه خلا تاريخ الهزيمة والسّقوط المغمس فيه.

في اليوم الأوّل

أنكرتُ فضل الله عليّ، وزعمتُ أنّ رزقي إنّما هو من صنع يديّ ومن بنات اجتهادي،وعظّمتْ نفسي في عيني،فصغرتْ في عيون النّاس، وكُتبتْ عليّ الذّلة،وما باليتُ.

في اليوم الثّاني

قررتُ أن أمنع الأرض والإنسان ما وهبتني السّماء، فمنعتُ الزّكاة، وأمسكتُ يديّ عن الصّدقات،وما عاد قلبي يرقّ لمسكين أو يلين ليتيم أو ينصتَ لسؤال محتاج،فقستْ نفسي،وتحجّر قلبي،وجفتْ منابع العطف والبذل والرّحمة في نفسي، فكرهني النّاس،ونسيني أهل الحاجة والسّؤال، وما نالني أجر الباذلين أو حبّ الله -عزّ وجل- للمحسنين،وما باليتُ بذلك.

في اليوم الثّالث

وجدتُ في انحنائي للذّات الإلهيّة في صلاة أو سؤال أو حجّ أو اعتمار أو دعاء أو خروج في سبيله في طلب رزق أو عون إنسان أو نجدة ملهوف ضرباً من الذّل، ونوعاً من الانقياد إلي الموروث المقيّد الذي لا

حاجة أو نفعاً ماديّاً منه،لذلك فقد قُدتُ في نفسي ردّة على السّماء وعلى العلاقة مع الله والإحسان والعون والبذل والعطاء لحجج كثيرة،أهمها توفير المال والوقت،وعدم بذلهما إلاّ في متعة جسد أو تحقيق مصلحة،فلعنني النّاس،وتراكم اليأس والقبح في روحي،وبدأتُ أشعر بأنّني وحيد ضعيف لا عون لي على الرّغم من ثروتي الكبيرة،وعلاقاتي الأخطبوطيّة،وحرّاسي الأقوياء الأشداء،وما باليتُ بذلك.

في اليوم الرّابع

برمتُ بالعلاقات المصنوعة في حياتي لوشائج نسب أو عرق أو دين أو وطن أو إنسانيّة؛ إذ كانتْ جميعها مضيعة للمال،واستنزافاً للمدّخر منه،وإحراقاً للمتع؛ولذلك فقد قدتُ حملة طاحنة لتجريد حياتي من كلّ علاقة غير مفيدة،وبدأت بوالدي اللذين بلغا من العمر عتيّاً،وما عادا قادرين على شيء سوى التّطلّب والشّكوى من عطب الكبر وألم المرض والعجز،فألقيتُ بهما في أوّل دار مسنين قابلتها في طريقي،ومنعتُ أيّ قريب أو جار أو صديق من دخول حياتي العتيدة العظيمة،ثم فضضتُ من حولي الأصدقاء المثقلين بهمومهم وقصصهم،فلا وقت عندي لهم.

أمّا الأخوة فقد أحسن الله إذ خلق معظمهم أكبر مني،وجعلهم يسيحون في الأرض،ولا يعودون إلى طلب مساعدتي بعد أن أوصدتُ الباب المرة تلو الأخرى في وجوههم،فدعا أبواي عليّ،واحتقرني الأهل والعشيرة والأصدقاء،وسبّني الأخوة،واستعاذ النّاس بالله من بطشي ومن قسوتي، وما باليتُ بذلك.

في اليوم الخامس

قررتُ أن أثيبَ نفسي على نضالها الطّويل ضدّ ماضيها وصولاً إلى خلعه تماماً، فوهبتها قدراً لا يعرف نهاية من المتع أكانتْ على حساب مالي أم على حساب صحتي ووقتي أم على حساب الآخرين، فطفقتُ أستمتع وأستلذ ولو كان ذلك على حساب دموع المقهورين،وحقد الكارهين،ولعنات المظلومين،وكره المغبونين. فشربتُ حدّ التّمالة من الرّبا والزّنا والكذب والقتل والظّلم والسّرقة والافتراء.

في اليوم السّادس

بدأت أشعر بأنّني كائن دون ماضٍ أو تاريخ، فما عدتُ أذكر اسمي، ولا جنسيتي،ولا ديني،ولا من أكون،ولا من أنجبني،ولا أيّ الأفكار أحمل،ولا أيّ القيم أحترم،وما كان ذلك ليزعجني،فما كنتُ لأبالي بغير مالي ورصيدي في المصرف وقائمة ممتلكاتي وأماكن مدّخراتي وعقاراتي،وعناوين أصدقاء السّوء وشركاء السّهر والسّكر والعربدة واللّهو.

في اليوم السّابع

شعرتُ بالملل والشّيخوخة والضّعف والتّعب والحاجة إلى راحة الضّمير والبال،فبكيتُ،فلم يرثِ أحد لبكائي،وحاولتُ أن لا أتألّم من عدم اكتراث الآخرين بي،فلم أستطع،فسدرتُ في أحزان لا تنتهي لإنسان مهزوم لا يبال به أيّ أحد !

د.سناء الشّعلان في سطور

- هي د.سناء كامل أحمد شعلان،أديبة أردنيّة من أصول فلسطينيّة.
- تحمل درجة الدّكتوراه في الأدب الحديث.
- حاصلة على شهادة الدكتوراه الفخرية في الصّحافة والإعلام من كامبردج منذ نيسان عام ٢٠١٤.

العضويات الأدبيّة والثّقافيّة:

١. عضو في رابطة الكتّاب الأردنيّين.
٢. عضو في اتّحاد الكتّاب العرب.
٣. عضو في أسرة أدباء المستقبل/ منتدى عمون للأدب والنقد.
٤. عضو في النّادي الثّقافيّ في الجامعة الأردنيّة.
٥. عضو فخري في دار ناجي نعمان للثقافة.
٦. عضو في رابطة الأدباء العرب.
٧. عضو شرف فخري في المركز المتوسطيّ للدّراسات والأبحاث.
٨. عضو في جمعية المترجمين واللّغويين العرب" واتا".
٩. عضو هيئة تحرير ضفاف الدّجلتين العليا.
١٠. عضو مؤازر في المعهد الدّوليّ لتضامن النساء.
١١. عضو في جمعيّة النقّاد الأردنيّين.
١٢. عضو في المنظمّة العربيّة للإعلام الثّقافيّ الإلكترونيّ.
١٣. عضو في رابطة الأدباء العرب.
١٤. عضو هيئة استشاريّة عليا في وكالة أنباء عرار بوابة الثقافة العربيّة.
١٥. عضو فخريّ في جمعية المترجمين واللّغويين المصريين.
١٦. عضو في جمعيّة الأنوار الإنسانيّة المستقلّة.
١٧. عضو في المجلس العالميّ للصّحافة.
١٨. عضو الهيئة الاستشاريّة لمجلّة المجتمع التّربويّ.
١٩. عضو في جمعية الأخوة الأردنيّة الفلسطينيّة.

٢٠. عضو هيئة تحرير في مجلّة بلسم الصّحة والجمال.
٢١. عضو هيئة تحرير "مرايا من المهجر".
٢٢. عضو هيئة استشاريّة في مجلّة الجسرة الثّقافيّة.
٢٣. عضو هيئة إدارية في دارة المشرق للفكر والثقافة.
٢٤. عضو تحكيم ومقررة جائزة لعديد من المسابقات الإبداعيّة و الثّقافيّة المحليّة والعربيّة.
٢٥. عضو في الهيئة العلميّة الاستشاريّة لملتقى السّرد المغاربي- قسم الأدب العربيّ، جامعة سكيكدة، الجزائر.
٢٦. عضو في منظمّة كتاب بلا حدود.
٢٧. عضو اللّجنة التّحضيريّة الدّوليّة للمؤتمر الأوّل لعمداء الدّراسات العليا والبحث العلميّ لاتّحاد الجامعات العربيّة:جامعة الأقصى في غزة بالتّعاون مع المجلس العربيّ للدّراسات العليا والبحث العلميّ لاتّحاد الجامعات العربيّة.
٢٨. عضو رابطة الكتّاب العراقيّين في أستراليا.
٢٩. عضو هيئة استشاريّة في المجلّة العربيّة للجودة وأفضل الممارسات والتميّز.
٣٠. عضو الهيئة الاستشاريّة العلميّة والإعلاميّة لمجلّة المنار الثّقافيّة الفضائيّة.
٣١. عضو اللجنة الإعلاميّة لمؤتمر المؤتمر الفرانكوفونيّ الأردنيّ الدّوليّ الثّاني في جامعة آل البيت في الأردن بعنوان :"تلقّي ألف ليلة وليلة في حقول العلوم الإنسانيّة عالميًّا".
٣٢. عضو شرف في مجلس المنتدى الإقليميّ للإعلام.
٣٣. عضو في مركز التّأهيل والحريّات الصّحفيّة **CTPJF** والمنسّقة الرّسميّة له في الأردن.
٣٤. محرّر في صحيفة "بلا حدود" التّابعة لمنظمّة كتاب بلا حدود.
٣٥. عضو دار القصّة العربيّة العراقيّة.
٣٦. عضو لجنة مهرجان العنقاء الذّهبيّة الدّوليّة.

٣٧. عضو اللّجنة العلميّة في الملتقى الدّوليّ الثاني الموسوم بـ"سوسيولوجيّة الرّواية في ضوء المناهج النقديّة المعاصرة" للعام ٢٠١٣/ جامعة زيان جلفة/ الجزائر.
٣٨. عضو رابطة الكتّاب التّونسيين.
٣٩. عضو اللّجنة العلميّة للملتقى الوطنيّ الأوّل حول"الرّواية الجزائريّة في ضوء المناهج النقديّة المعاصرة".
٤٠. عضو رابطة النّهر الخالد الأدبيّة .
٤١. عضو هيئة استشاريّة علميّة محكّمة في مجلّة "قراءات" العلميّة المحكّمة،الصّادرة عن كلية الآداب واللّغات،جامعة معسكر،الجزائر.
٤٢. عضو مجلس كبار النّقاد العرب.
٤٣. عضو ومندوبة دوليّة في منظمّة السّلام والصّداقة الدّوليّة/ الدّنمارك.
٤٤. عضو مجلس الكتّاب والأدباء والمثقفين العرب.
٤٥. مدير فرع مكتب عمان/ الأردن لمنظمّة الضّمير العالميّ لحقوق الإنسان/ سيدني/ استراليا.
٤٦. مديرة تحرير مجلّة"وجهات" العلميّة المحكّمة،الصّادرة عن مؤسّسة مليطان للبحوث والدّراسات والإنماء الثّقافيّ.
٤٧. مديرة فرع البيت الثّقافيّ العربيّ في الهند لدى المملكة الأردنيّة الهاشميّة.

الوظائف الأكاديميّة التي شغلتها:

١. دكتورة في الجامعة الأردنيّة- مركز اللّغات .
٢. أستاذة زائرة لمرحلة الماجستير/ المناهج النقديّة المعاصرة وتعليميّة اللّغة العربيّة،قسم اللّغة العربيّة،جامعة مصطفى اسطمبولي،الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة،مايو ٢٠١٥.
٣. أستاذة زائرة لمرحلة الماجستير/ المناهج النقديّة المعاصرة وتعليميّة اللّغة العربيّة،قسم اللّغة العربيّة،جامعة معسكر،الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة،آذار٢٠١٤.

٤. دكتورة لتدريس اللّغة العربيّة لطلبة أكاديميّة الأمير حسين بن عبدالله الثّاني للحماية المدنيّة،الأردن،٢٠١٢-٢٠١٣
٥. محاضر متفرغ لتدريس العربيّة لغير النّاطقين بها في الجامعة الأردنيّة- مركز اللّغات.
٦. محاضر غير متفرّغ في الجامعة الأردنيّة – مركز اللّغات .
٧. محاضر غير متفرّغ في قسم اللّغة العربيّة – الجامعة الأردنيّة.
٨. محاضر غير متفرّع لتدريس الدّراسات العليا في جامعة الشّرق الأوسط للعام الدّراسيّ ٢٠١١-٢٠١٢.
٩. معلّمة للّغة العربيّة للمراحل الأساسيّة العليا لمدة سبع سنوات.
١٠. معلّمة للدّراما الهادفة للطّلبة الموهوبين لمدّة أربع سنوات.

الوظائف غير الأكاديميّة التي شغلتها:

١. مراسلة لمجلّة الجسرة الثّقافيّة في قطر.
٢. لها عامود أسبوعيّ ثابت في صحيفة الدّستور الأردنيّة.
٣. لها عامود أسبوعيّ ثابت في صحيفة أبعاد متوسطيّة المغربيّة.
٤. أمين عام لجائزة مؤسّسة الورّاق للنّشر والتّوزيع للعام ٢٠٠٩.
٥. لها عامود ثابت في صحيفة الرّائد السّودانيّة.
٦. لها عامود ثابت في مجلّة أصداء الفلكيّة في الإمارات العربيّة المتّحدة.
٧. لها عامود ثابت في مجلّة رؤى السّعوديّة.
٨. لها عامود ثابت في مجلّة الحكمة العراقيّة.
٩. ممثلة منظمّة النّسوة العالميّة في الأردن.
١٠. مراسلة لمجلّة النّجوم،وصحيفة الأنوار والتّلغراف النّاطقات بالعربيّة في سدني/ استراليا.
١١. لها عامود ثابت في صحيفة التّلغراف في سيدني/ استراليا.
١٢. لها عامود ثابت في صحيفة حق العودة الفلسطينيّة.
١٣. لها عامود ثابت في صحيفتي "بناة الوطن" و"المقاول الأردنيّ" الأردنيّتين.

١٤. ممثّلة مؤسّسة "جولدن دزرت" Golden desert Foundation "البولندية في الشرق الأوسط.
١٥. المنسّق الرّسميّ في الأردن لمركز التّأهيل وحماية الحرّيات الصّحافيّة CTPJF
١٦. مديرة فرع منظمّة كتّاب بلا حدود في الأردن.
١٧. مديرة فرع دار القصّة العربيّة العراقيّة في الأردن.
١٨. مديرة فرع لجنة مهرجان العنقاء الذّهبيّة الدّوليّة في الأردن.
١٩. المشرفة على الصّفحات الثّقافيّة(رياض الأدب وبستان الشّعر) في موقع النّاس الإلكترونيّ.
٢٠. لها عامود ثابت تحت اسم"شمس ونور ومطر" في صحيفة الاتّحاد،الصحيفة المركزية للاتّحاد الوطنيّ الكردستانيّ.
٢١. رئيسة القسم الثّقافيّ في وكالة كرم الإخباريّة.
٢٢. ممثلة لرابطة النّهر الخالد الأدبيّة ومديرة لمكتبها في عمان.
٢٣. المستشارة لمبادرة"حياتك بتهمنا" التي أطلقتها مجموعة"المستقبل المزدهر"في عام ٢٠١٤.
٢٤. لها عامود ثابت أسبوعيّ في صحيفة"النّجاح" الجزائريّة بعنوان "نور ونار".

الجوائز الأدبية والإبداعيّة التي حقّقتها:

١. جائزة صلاح هلال الأدبيّة للقصّة القصيرة في الدورة ١٤ لها،في حقل القصّة القصيرة عن قصّة "منامات السّهاد"،القاهرة،مصر،٢٠١٥.
٢. جائزة مهرجان القلم الحرّ للإبداع العربيّ في الدّورة الخامسة ،في حقل القصّة القصيرة عن قصّة"الاستغوار في جهنّم"،الجّائزة الأولى،مؤسّسة القلم الحرّ،الفيوم،مصر،٢٠١٤
٣. جائزة القصّة الومضة العالميّة،في حقل القصّة الومضة،القصص الومضات" حدث في مكان ما"،الاتّحاد العالميّ للشّعراء والمبدعين العرب،القاهرة،مصر،٢٠١٤.

٤. جائزة الشّهيد عبد الرّؤوف الأدبيّة السّنويّة،دورة(يوم الشّهيد)في حقل التّأليف المسرحيّ،عن مسرحيّة" وجه واحد لاثنين ماطرين"،جمعيّة الشّعراء والمفكّرين والمبدعين،القاهرة،مصر،٢٠١٤.

٥. جائزة النّاصر صلاح الدين الأيوبي/ جائزة الأديب المرحوم محمد طمليه في القصّة القصيرة للعام ٢٠١٤ عن مجموعة " ناسك الصّومعة"،الجائزة الأولى،،بلدية الكرك،الأردن.

٦. الجائزة التّقديريّة لأجمل كتاب للعام ٢٠١٣ عن رواية"أعشقني"، مؤسّسة العنقاء الدّوليّة،لاهاي- العراق،٢٠١٤.

٧. جائزة أكثر(٥٠) شخصيّة مؤثّرة في الأردن،الحصول على المرتبة رقم١٩،وذلك للعام ٢٠١٣،تحالف اتّحاد منظّمات التّدريب الأردنيّة(Juthro)،الأردن،عمان.

٨. جائزة العنقاء الذّهبيّة الدّوليّة للمرأة المتميّزة للعام ٢٠١٣،مهرجان العنقاء الذهبيّ،لاهاي-ميسان.

٩. جائزة مؤتمر المرأة العربيّة للعام ٢٠١٢،جائزة التميّز الإبداعيّ والأكاديميّ والتّأثير عن مجمل إنتاجها الإبداعيّ والنقديّ،مؤتمر المرأة العربيّة،مركز التّفكير الإبداعيّ،عمان،الأردن.

١٠. جائزة منظمّة كتّاب بلا حدود/ الشّرق الأوسط الثّقافيّة بالتّعاون مع مجلس الأعمال الوطنيّ العراقيّ للعام ٢٠١٢ في حقل القصّة القصيرة،الجائزة الأولى عن قصّة "الضّياع في عيني رجل الجبل"،منظمّة كتّاب بلا حدود،العراق،سوريا،تركيا،إيران.

١١. جائزة كلاويز التّقديريّة للإبداع للعام ٢٠١١ عن مجمل إنتاجي الإبداعي،مهرجان كلاويز،مركز كلاويز الثّقافيّ والإبداعي،السّليمانيّة،إقليم كردستان،العراق.

١٢. جائزة دبي الثّقافيّة للإبداع في دورتها السّابعة في الرّواية للعام ٢٠١٠/ ٢٠١١ عن رواية" أعشقني"،مجلّة دبي الثّقافيّة،دبي،الإمارات العربيّة المتّحدة.

١٣. جائزة أحمد بوزفور للقصّة القصيرة في دورتها التّاسعة/ الجائزة الأولى عن قصّة "تقاسيم" للعام ٢٠١١،جمعية النّجم الأحمر للتّربية والثّقافة والتّنمية الاجتماعيّة بمشروع بلقصيري،المغرب.

١٤. جائزة معبر المضيق في دورتها الرّابعة في حقل القصّة القصيرة/ الجائزة الأولى عن قصّة" حيث البحر لا يصلّي" للعام ٢٠١١،مؤسّسة ثقافة ومجتمع الإسبانيّة،بالتّعاون مع إدارة قصر الحمراء وخنيراليف ومؤسّسة البيسين وجمعية اليونسكو من أجل النّهوض بالآداب.

١٥. جائزة جامعة فيلادلفيا التاسع للمسرح الجامعيّ العربيّ،أحسن نص مسرحيّ عن مسرحيّة"يحكى أنّ" للعام ٢٠١٠.

١٦. جائزة الشيخ محمد صالح باشراحيل للإبداع الثّقافيّ العالميّة في دورتها الثّالثة في حقل الرّواية والقصّة القصيرة عن مجمل إبداعاتي الرّوائيّة والقصصيّة،للعام ٢٠١٠.

١٧. جائزة الكاتب الشّاب/ مؤسّسة عبد المحسن قطان،الجائزة التّشجيعيّة في حقل المسرح عن مسرحيتها "البحث عن فريزة" للعام ٢٠٠٩.

١٨. جائزة بصيرا النّامنة" شهداء الثّورة" في القصّة القصيرة،الأردن،عن قصّة " المفصّل في تاريخ ابن مهزوم وما جادَتْ به العلوم" للعام ٢٠٠٩.

١٩. جائزة ساقية الصّاوي الإبداعيّة في القصّة القصيرة ،القاهرة،مصر،عن قصّة" جالاتيا مرة أخرى" للعام ٢٠٠٩.

٢٠. جائزة أدب العشق لوكالة سفنكس للتّرجمة والنّشر،القاهرة، مصر،عن قصّة" نفس أمّارة بالعشق" للعام ٢٠٠٩

٢١. جائزة شرحبيل بن حسنة للعام ٢٠٠٨ للإبداع،بلدية إربد،الأردن،الجائزة الأولى،حقل قصّة الأطفال عن قصّة" زرياب" للعام ٢٠٠٨.

٢٢. جائزة جمعية جدة للثقافة والفنون/ وزارة الثقافة في جدة / السّعوديّة في دورتها للعام ٢٠٠٨ للمسرح بالجائزة الأولى عن مسرحيّة" دعوة على العشاء" للعام ٢٠٠٨.

٢٣. جائزة مجلّة ملامح ثقافية في حقل المجموعة القصصيّة المخطوطة عن مجموعة "عام النّمل" للعام ٢٠٠٨.
٢٤. جائزة "باسم حبّي لكَ لكتابة أفضل رسالة حبّ، الجائزة الأولى عن رسالة بعنوان" باسم حبّي لكَ" للعام ٢٠٠٨.
٢٥. جائزة أنجال هزّاع آل نهيان لأدب الأطفال / حقل قصّة الأطفال في دورتها العاشرة عن قصّة "صاحب القلب الذّهبيّ" للعام ٢٠٠٧.
٢٦. جائزة الحارث بن عمير الأزدي للإبداع في دورتها السّادسة بالجائزة الأولى في حقل القصّة القصيرة عن قصّة" حكاية لكلّ الحكايات" للعام ٢٠٠٧م.
٢٧. جائزة جامعة الهاشمية لكتابة النّص المسرحي،الجائزة الأولى عن المسرحيّة المخطوطة "يُحكى أنّ" للعام ٢٠٠٧،
٢٨. جائزة الكاتب الشّاب/ مؤسّسة عبد المحسن قطان، الجائزة الأولى عن المجموعة القصصيّة" عينا خضر" للعام ٢٠٠٦.
٢٩. جائزة النّاصر صلاح الدين الأيوبي في دورتها الثالثة بالجائزة الأولى عن أحسن نص مسرحي عن مسرحيّة "ضيوف المساء" للعام ٢٠٠٦.
٣٠. جائزة جمعية مكافحة إطلاق العيارات النارية بالجائزة الأولى عن قصّة "رسالة عاجلة" للعام ٢٠٠٦م.
٣١. جائزة الشّارقة للإبداع العربيّ عن مجموعتها القصصيّة "الكابوس"، المركز الأول للعام ٢٠٠٦.
٣٢. جائزة دار ناجي نعمان للثقافة عن السّيرة الغيرية للأطفال بعنوان (زرياب) للعام ٢٠٠٦.
٣٣. جائزة الجامعة الأردنيّة بالمركز الأول بلقب مسرحي الجامعة عن أحسن نصّ مسرحي(ستة في سرداب) للعام ٢٠٠٦.
٣٤. جائزة ساقية الصاوي في القصّة القصيرة عن قصتها" الغرفة الخلفيّة" للعام ٢٠٠٦.

٣٥. جائزة البجراويّة لأحسن بحث علميّ للعام ٢٠٠٥ عن بحث بعنوان "مقاربة بين رسالة الغفران للمعرّي والكوميديا الإلهيّة لدانتي".
٣٦. درع رئيس الجامعة الأردنيّة للطّالب المميّز أكاديميّاً وإبداعيّاً للعام ٢٠٠٥.
٣٧. جائزة النّاصر صلاح الدّين الأيوبيّ في دورتها الثّانية عن المجموعة القصصيّة "أرض الحكايا" للعام ٢٠٠٥.
٣٨. جائزة الدّكتورة سعاد الصّبّاح في القصّة القصيرة عن مجموعتها القصصيّة "احكِ لي حكاية" للعام ٢٠٠٥.
٣٩. جائزة الدّولة للإبداع الشّبابيّ في القصّة القصيرة للعام ٢٠٠٥.
٤٠. جائزة لقب قاصّة الجامعات الأردنيّة عن قصّة "حكاية" للعام ٢٠٠٥.
٤١. جائزة المسابقة الثّقافيّة + الدرع الثّقافيّ لرئيس الجامعة للعام ٢٠٠٥.
٤٢. جائزة الناصر صلاح الدّين الأيوبي عن رواية "السقوط في الشمس" للعام ٢٠٠٥.
٤٣. جائزة أدباء المستقبل عن قصّة "سداسيّة الحرمان" للعام ٢٠٠٥.
٤٤. جائزة جامعة مؤتة في القصّة القصيرة للعام ٢٠٠٤-٢٠٠٥،عمادة شؤون الطّلبة،جامعة مؤتة، الأردن.
٤٥. جائزة رابطة الأدب الإسلاميّ للقصّة القصيرة عن قصّة "عينا خضر" للعام ٢٠٠٤.
٤٦. جائزة ولقب الجامعة الأردنيّة في حقل القصّة القصيرة عن قصّة "الحكاية" للعام ٢٠٠٤.
٤٧. جائزة ولقب الجامعة الأردنيّة في حقل الخاطرة عن خاطرة "إليكَ" للعام ٢٠٠٤.
٤٨. جائزة ولقب الجامعة الأردنيّة في حقل نهاية القصّة القصيرة عن قصّة "حدث ذات مساء" للعام ٢٠٠٤.
٤٩. جائزة قسم اللّغة العربيّة / الجامعة الأردنيّة في القصّة القصيرة عن قصّة "كرنفال الأحزان" للعام ٢٠٠٤.

٥٠. جائزة الدّولة للإبداع الشّبابيّ في القصّة القصيرة للعام ٢٠٠٤.
٥١. جائزة أدباء المستقبل للقصّة القصيرة عن قصّة "احكِ لي حكاية" للعام ٢٠٠١.
٥٢. جائزة الكتابة المسرحيّة،الجّامعة الأردنيّة،عمادة شؤون الطّلبة، الأردن،٢٠٠٥ / ٢٠٠٦.

الجوائز الأدبية والإبداعيّة التي رفضت قبولها:

١. رفضت رسميّاً ترشيحها لجائزة "الأردن أفضل:جائزة أفضل المثقفين للعام ٢٠١٣،جمعية الجنوب الأردنيّة،الأردن،٢٠١٤.

الاستحقاقات والأوسمة والدّروع والتكريمات:

٢. درع "النّجوم" للتميز الإبداعيّ والإعلاميّ من مجموعة صحف ومجلات:النّجوم والتّلغراف والأنوار للصّحافة للعام ٢٠١٠ من سيدني/ استراليا.
٣. درع الجامعة الأردنيّة لعضو هيئة التّدريس المتميّز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٩،ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلميّ.
٤. حاصلة على لقب"واحدة من أنجح ٦٠ امرأة عربيّة للعام ٢٠٠٨"ضمن الاستفتاء العربيّ الذي أجرته مجلّة "سيدتي"الصّادرة باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزية.
٥. درع الجامعة الأردنيّة لعضو هيئة التّدريس المتميّز إبداعيّاً وأكاديميّاً للعام ٢٠٠٧،ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلميّ.
٦. درع الجامعة الأردنيّة لطالب الدّراسات المتميّز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٦،ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلميّ.
٧. درع رئيس الجامعة الأردنيّة للطالب المميز أكاديمياً وإبداعياً للعام ٢٠٠٥ .
٨. درع الملحقية الثّقافيّة العراقيّة تقديراً لدعمي للأدب العراقيّ والكرديّ للعام ٢٠١٢م.
٩. درع مهرجان الفحيص في دورته الثّانية والعشرين للعام ٢٠١٢م.

١٠. درع المنبر الثّقافيّ لخالد شفيق المنيزل للعام ٢٠١٢م.
١١. درع وزير الثقافة العراقيّة للتّميّز والإبداع للعام ٢٠١٢م.
١٢. درع مهرجان كلاويز في دورته الخامسة عشرة للعام ٢٠١١ للتّميّز.
١٣. درع مهرجان كلاويز في دورته السّادسة عشرة للعام ٢٠١٢ للتّميّز.
١٤. الدّرع التكريمي للسّفارة العراقيّة في الأردن على حسن التّعاون مع المؤسّسات العراقيّة وعظيم الشّعور بالمسؤوليّة اتّجاه العراق للعام ٢٠١٣.
١٥. تكريم ووثيقة شكر من السّفير البلغاريّ في عمان"ألكسندر كوفاتشيف" على جهودي في دعم الثقافة البلغاريّة والتّواصل معها.
١٦. مهرجان تكريمي لي في ثانوية الفحيص للبنات / الأردن بمشاركة رسميّة من وزارة التّربية والتّعليم الأردنيّة تقديراً لدوري الإبداعيّ والثّقافيّ وحصولي على الكثير من الجوائز الإبداعيّة،٢٠١٣.
١٧. تكريم من أسرة نجوم العربيّة في العاصمة الأردنيّة عمان تحت شعار" أبرز شخصيّة أدبيّة أردنيّة للعام ٢٠١٣، فندق مطار الملكة علياء ٢٠١٤.
١٨. تكريم من الأستاذ الدّكتور عبد القادر الخالدي رئيس جامعة معسكر في الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة تقديراً لتميزي الأكاديميّ والإبداعيّ٢٠١٤.
١٩. تكريم من جامعة معسكر في الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة لدوري الرّيادي النّسويّ ضمن فعاليّات احتفال الجامعة بيوم المرأة ٨/ ٣ للعام ٢٠١٤
٢٠. درع وتكريم من حزب مصر المستقبل في مهرجانه في العام ٢٠١٤ تقديراً لدوري في العمل العام الخدميّ والاجتماعيّ ومساهمتي البنّاءة في إثراء العلم السّياسيّ.
٢١. حاصلة على نجمة السّلام للعام ٢٠١٤ من منظمّة السّلام والصّداقة الدّوليّة في مملكة الدّنمارك PEACE ANDFRIENDSHIP INTERNATIONAL ORGANIZATION .
٢٢. امرأة الأسبوع في برنامج سيدتي/ قناة روتانا الخليجية(شهر ١ للعام ٢٠١٥).

٢٣. تكريم برعاية ملكية/ الأميرة آية بنت فيصل في مركز زها الثّقافيّ للعام ٢٠١٥ بمناسبة عيد الأم.

٢٤. حاصلة على لقب الأم المثاليّة المختارة من قبل مجلس الكتاب والأدباء والمثقفين العرب لدوري المتميّز والفعال في بناء أجيال ناجحة تعمل على تقدّم ورقي الوطن.

المؤتمرات التي شاركت فيها:

١. الملتقى الوطنيّ لجامعة مصطفى اسطمبولي تحت عنوان"الرّواية العربيّة والتّاريخ:آسيا جبّار وسناء الشّعلان"،قسم الآداب واللّغات،جامعة معسكر،الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة،١٨ مايو ٢٠١٥.

٢. الملتقى الوطنيّ الثاني لجامعة معسكر تحت عنوان"الرّواية العربيّة والتّاريخ:"،قسم الآداب واللّغات،جامعة مصطفى اسطمبولي،الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة،١٧-١٧ مارس ٢٠١٥.

٣. ملتقى"اللّغة العربيّة والطّفل:تحدّيات وتجارب"،المشاركة بورقة عمل بعنوان" الطّفل العربيّ واللّغة العربيّة"،جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن،الرّياض،السّعوديّة،٢٨/ ٤/ ٢٠١٥.

٤. مؤتمر"تأثير رواية دون كيخوته في العلوم والآداب والفنون العالميّة"،المشاركة بورقة عمل بعنوان" تأثير رواية دون كيخوته في رواية المتشائل لأميل حبيبي"،جامعة كاليفورنيا،لوس أنجلوس،أمريكا،١٥-١٧/ ٤/ ٢٠١٥.

٥. مهرجان المربد الشّعريّ الحادي عشر،دورة الشّاعرة لميعة عباس عمارة،مشاركة بحفل توقيع رواية"أعشقني"،العراق،البصرة،وزارة الثّقافة العراقيّة واتّحاد الكتاب العراقيّين واتّحاد أدباء البصرة،٢٢-٢٥/ ١٠/ ٢٠١٤.

٦. مؤتمر الملتقى الوطنيّ الأوّل بعنوان " معالم التّجريب في الأدب الجزائريّ المعاصر:الوجود والحدود"،مشاركة بورقة عمل بعنوان :" التّجريب في الرّواية الأردنيّة: السّرد الفنتازيّ مساراً:رواية " أَعْشَقُني " أنموذجاً لفنتازيّة

الخيال العلميّ :شهادة روائيّة لسناء شعلان"،مديرية الثقافة لولاية برج بو عريريج، الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة،٢٩-٣٠ نيسان ٢٠١٤

٧. مؤتمر الملتقى الوطنيّ الأول حول الرّواية الجزائريّة في ضوء المناهج النقديّة المعاصرة،مشاركة بورقة عمل بعنوان :" تقاسيم: شهادة عن تجربة الكتابة الإبداعيّة"،جامعة معسكر،معسكر،الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة،١٦-١٧ ديسمبر٢٠١٣.

٨. مؤتمر"كيف نحقّق رؤى جلالة الملك في بناء الأردن الحديث في مجال التّنمية المستدامة،الدورة السّابعة،حضور+عريف الحفل، عمان، الأردن،٣/ ١٢/ ٢٠١٣

٩. مؤتمر كلاويز في دورته الـ١٧،مشاركة حضور، مركز كلاويز الثّقافيّ والأدبي، السّليمانيّة، للعام ١٢-٢٥/ ١١/ ٢٠١٣.

١٠. الملتقى التّحضيريّ لمؤتمر سيدات الأعمال والقيادات النّسائيّة الدّوليّ،المشاركة بورقة عمل بعنوان " المرأة المبدعة والمعيقات المجتمعيّة والتّابوات"،عمان،الأردن،١٦+١٧/ ١١/ ٢٠١٣.

١١. مؤتمر كلاويز في دورته الـ١٦،مشاركة بورقة عمل،والمتحدّثة باسم الوفود العربيّة المشاركة في المؤتمر،مركز كلاويز الثّقافيّ والأدبي،السّليمانيّة، للعام ٢٠١٢.

١٢. مؤتمر المرأة العربيّة:قوة التأثير نحو قيادة التّغيير،المشاركة بورقة عمل بعنوان"تجربتي مع النّجاح"مركز التّفكير الإبداعيّ،الأردن،عمان،٢٠١٢.

١٣. مؤتمر" نساء حلقات تعاون ومشاركة في ثقافة وتاريخ أمريكا اللاتينيّة ومنطقة الكاريبي".المشاركة بورقة عمل بعنوان "الإنتاج النّصيّ والفنّيّ للمرأة:دراسة مقارنة بين المبدعة في أمريكا اللاتينية والمرأة العربيّة: الذّات والآخر والصّراع":مقارنة بين سيرة فدوى طوقان "رحلة جبليّة رحلة صعبة" وسيرة إيزابيل الليندي " باولا " أنموذجاً.كازا دي لاس أمريكاس،كوبا،شباط ٢٠١٢.

١٤. مؤتمر حماية الصّحفيين في الحالات الخطيرة في دورته الأولى،مشاركة في صياغة خطّة لحملة دوليّة لجلب التأييد من أجل تبنّي توصيات المؤتمر.اللّجنة الوطنيّة لحقوق الإنسان،الدّوحة،قطر،كانون الثاني٢٠١٢.

١٥. مؤتمر كلاويز في دورته الـ١٥،مشاركة بورقة عمل وكلمة باسم الوفود المشاركة في حفل الافتتاح، مركز كلاويز الثّقافيّ والأدبيّ، السّليمانيّة، للعام ٢٠١١.

١٦. مؤتمر"الواقع والواقعيّة في مدن العصور الوسطى"في دورته الـ٥٧،المشاركة بورقة عمل مشتركة مع د.وائل ربضي بعنوان"تقاطع حكايات الجنس في ألف ليلة وليلة حكايات الفابيلو في العصور الوسطى"،جامعة تريست،مدينة تريست،إيطاليا،٢٠١١.

١٧. المؤتمر الفرانكوفوني الأردنيّ الدّوليّ الثاني"تلقي ألف ليلة وليلة في حقول العلوم الإنسانيّة عالميًّا"، المشاركة بورقة عمل بعنوان "توظيف ألف ليلة وليلة في مسرحيّة"الملك هو الملك"لسعد الله ونّوس"، جامعة آل البيت،الأردن،٢٠١١.

١٨. المؤتمر العلميّ التّربويّ السّادس تحت شعار"بالتربية والعلم نبني عراقاً موحّداً"،المشاركة بورقة عمل بعنوان "مساحة التّوتر بين الانتظار والخيبة عند القاصّ العراقيّ فرج ياسين"،جامعة تكريت،كلية البنات،تكريت،العراق،٢٠١١.

١٩. مهرجان أهل البحر للعام ٢٠١٠،مشاركة حضور فعاليّات،تنظيم جماعة أهل البحر الثّقافيّة الرّياضيّة،اللاّذقيّة،سوريا،٢٠١٠.

٢٠. مؤتمر كلاويز في دورته الـ ١٤،مشاركة بورقة عمل بعنوان:"الفنتازيا رداءً للتثوير في التّجربة القصصيّة عند محيي الدين زنكنة" وزارة الثقافة في السّليمانيّة، للعام ٢٠١٠.

٢١. مؤتمر"المدائن الأولى:أرخبيل مفرد باستعارات شتّى"،حلقة الفكر العربيّ،فاس،المغرب، المشاركة بورقة عمل بعنوان"الألم بطلٌ في رواية "معذبتي"لبنسالم حميّش"للعام ٢٠١٠.

٢٢. مؤتمر دهوك الثّقافيّ الثّالث في كردستان العراق،والمشاركة بورقة عمل بعنوان" تجربتي مع كتابة القصّة القصيرة+ مشاركة قصصيّة" للعام ٢٠١٠.
٢٣. المؤتمر الأول لمعلمي اللّغة العربيّة في استراليا،الضّيف العام للمؤتمر،والمشاركة بورقة عمل بعنوان " المعلم عرّاب اللّغة العربيّة الأخير" للعام ٢٠١٠.
٢٤. مؤتمر كلاويز في دورته الـ١٣،مشاركة بورقة عمل "نفس أمّارة بالعشق"، وزارة الثقافة في السّليمانيّة، للعام ٢٠٠٩.
٢٥. مؤتمر" مئوية علي الدوعاجي" مشاركة بورقة عمل "علي الدوعاجي ساخراً"،اتّحاد الكتاب التونسيين،تونس،للعام ٢٠٠٩
٢٦. مؤتمر" الرّواية في الأردن " المشاركة بورقة عمل "العوالم الفنتازيّة في روايات غسّان العلي:رواية أهرميان أنموذجاً"، أمانة عمان الكبرى، بيت الفنّ، الأردن ، عمان، ٢٠٠٨.
٢٧. مؤتمر" البحر والمقاومة في دورته الثالثة" ،مشاركة بورقة عمل"سيرة مولانا الماء"، وزارة الإعلام السّوريّة بالشّراكة مع أسرة مهرجان البحر،بانياس، اللاذقيّة، سوريا، ٢٠٠٨.
٢٨. مؤتمر "القصّة القصيرة في الوقت الحاضر" البطل الهامشيّ في قصص زياد أبو لبن"مشاركة بورقة عمل،جمعية النقّاد الأردنيّين ووزارة الثقافة الأردنيّة،آب ٢٠٠٨.
٢٩. مؤتمر "السّرد العربيّ المعاصر في مشهد العالميّة"، مشاركة بورقة عمل " الفنتازيا في الرّواية والقصّة القصيرة العربيّة"،الشّارقة،الإمارات العربيّة المتّحدة للعام ٢٠٠٦.
٣٠. مؤتمر"المرأة المبدعة" للعام ٢٠٠٥،مشاركة بورقة عمل" بين دانتي وأبي العلاء المعري" السودان، اتّحاد المرأة السّودانيّة.
٣١. مؤتمر "المشهد الرّوائيّ في الأردن على مشارف القرن الحادي والعشرين: ورقة عمل"البنية الحكائيّة في رواية عبد النّاصر رزق" ٢٠٠٤،جامعة آل البيت.

تأليف مسرحيات وإخراج:

١. تأليف مسرحيّة "يُحكى أنّ"، ٢٠٠٩
٢. تـأليف مسرحيّة "٦ في سرداب"، ٢٠٠٦.
٣. إعادة تأليف وسيناريو وإخراج مسرحيّة "المقامة المضيرية"،مسرحيّة تعليمية، ٢٠٠٣.
٤. تأليف وإخراج مسرحيّة "عيسى بن هشام مـرة أخـرى"،مسـرحيّة تعليميّـة، ٢٠٠٢.
٥. تأليف وإخراج مسرحيّة "العروس المثالية"،مسرحيّة كوميديّة هادفة، ٢٠٠٢.
٦. تأليف وإخراج مسرحيّة " الأمير السعيد"، مسرحيّة أطفال،٢٠٠٠.
٧. تأليف وإخراج مسرحيّة "أرض القواعد"،مسرحيّة تعليميّة هادفة، ٢٠٠٠.
٨. تأليف وإخراج مسرحيّة من غير واسطة،مسرحيّة كوميديّة هادفة، ٢٠٠٠.

المسرحيات الممثّلة:

١. مسرحيّة "يُحكى أنّ" مثلت في العام ٢٠١٠، من فرقة مختبر المسـرح الجـامعيّ في الجامعـة الهاشميّـة،الأردن،إخراج عبـد الصـمد البصـول.وعُرضـت في مهرجـان فيلادلفيـا التّاسـع للمسـرح العربيّ،وفـازت بجـائزة أحسـن نـصّ مسرحيّ.

الإنتاجات الأدبيّة المطبوعة:

١-الكتب النقديّة المخصّصة:

٢. المشاركة بفصل بعنوان "مسـاحة التّـوتّر بـين الانتظـار والخيبـة عنـد القـاصّ العراقيّ فرج ياسين في مجموعته القصصيّة "واجهات برّاقة" في كتـاب "في آفـاق النّص القصصيّ:مقاربـات في الهويّـة والـنّص والتّشـكيل عنـد فـرج ياسـين" الصّادر عن دار تموز للنّشر والتّوزيع،دمشق ،سوريا،٢٠١٣.
٣. المشاركة بفصل بعنـوان "البطـل في قصـص زيـاد أبـو لـبن" في كتـاب "القصّـة القصيرة في الوقت الرّاهن"الصّادر عن دار أزمنة للنّشر والتّوزيـع بـدعم مـن وزارة الثقافة الأردنيّة،الأردن،٢٠١١.

٤. المشاركة بفصل بعنوان "الذين لا يموتون" في كتاب المبدع الرّاحل محيي الدين زنكنه بأقلام أصدقائه،٢٠١٠،الصّادر عن دار سردم للطّباعة والنّشر،السّليمانيّة،العراق.

٥. المشاركة بفصل بعنوان "الفنتازيا رداءً للتثوير في التّجربة القصصيّة عند محيي الدّين زنكنة" في كتاب نقديّ بعنوان"نظرات نقديّة في عالم محيي الدين زنكنة الإبداعيّ"٢٠١٠،صادر عن مؤسّسة كلاويز ضمن منشوراتها لمهرجان كلاويز في دورته الرّابع عشرة.

٦. المشاركة بفصل بعنوان" شهادة إبداعيّة للأديبة الأردنيّة سناء شعلان" في كتاب " دراسات نقديّة عن الأدب الكرديّ"٢٠١٠،صادر عن منشورات اتّحاد الأدباء الكرد،دهوك،كردستان العراق.

٧. كتاب نقديّ بعنوان" الأسطورة في روايات نجيب محفوظ" ٢٠٠٦،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.

٨. طبعة ثانية من كتاب" السّرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرّواية والقصّة القصيرة في الأردن١٩٧٠-٢٠٠٢م،٢٠٠٦صادر عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.

٩. المشاركة في فصل إبداعيّ في مؤلّف جماعيّ في إطار سلسلة" الثقافة بالمجّان من دار نعمان للثقافة"،٢٠٠٦،صادر عن دار نعمان للثقافة.

١٠. كتاب نقديّ بعنوان "السّرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرّواية والقصّة القصيرة في الأردن١٩٧٠-٢٠٠٢م" ٢٠٠٤،من إصدارات وزارة الثقافة الأردنيّة.

٢-الكتب:

١. كتاب بعنوان "دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب:تفجيرات عمان في قصص" صادر عن دار الخليج-عمان ٢٠٠٦م.

٣- الكتب المنهجيّة:

١. كتاب بعنوان" تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها،المستوى السّادس"،كتاب مشترك مع مجموعة من المؤلفين،من منشورات الجامعة الأردنيّة،الأردن، ,٢٠١١

٤-الانتاجات الإبداعيّة:

١. روايةٌ بعنوانٌ أعشقني ،ط٣،عمان،الأردن،٢٠١٥.
٢. مجموعة قصصيّة بعنوانٌحدث ذات جدارٌ،٢٠١٥،ط١،أمواج للنّشر والتّوزيع،الأردن،عمان،٢٠١٥.
٣. مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصّين عرب بعنوانٌنجوم القلم الحرّ في سماء الإبداع ٢٠١٥،صادرة عن مؤسّسة القلم الحرّ للصّحافة والطّباعة والنّشر،القاهرة،مصر.
٤. مجموعة قصصيّة بعنوانٌتقاسيم الفلسطينيّ،٢٠١٥،ط١،أمواج للنّشر والتّوزيع،الأردن،عمان،٢٠١٥.
٥. مجموعة قصصيّة بعنوانٌعام النّملٌ،٢٠١٤،ط١،مكتبة سلمى الثّقافيّة للنّشر،تطوان،المغرب.
٦. روايةٌ بعنوانٌ أعشقنيٌ ،ط٢،عمان،الأردن،٢٠١٤.
٧. مجموعة "قافلة العطش" مترجمة إلى البلغاريّة تحت عنوان "Керванът на жаждата"،ترجمة خيري حمدان،صادرة عن مطبعة الفنار بالشّراكة مع الدّكتور حيدر إبراهيم مصطفى رئيس نادي خريجي الجامعات البلغاريّة،عمان ،الأردن،٢٠١٣.
٨. مجموعة قصصيّة مشتركة مع أدبيات أردنيات بعنوانٌFrom the speaking Womb of the Desert:SHORT STORIES FROM JORDAN" مترجمة إلى الإنجليزية،اختيار وترجمة أ.د رلى قوّاس،دار أزمنة للنّشر والتّوزيع،عمان،الأردن،٢٠١٣.
٩. مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصين أردنيين بعنوانٌالقصّة في الأردن:نصوص ودراسات "٢٠١٣،صادرة عن رابطة الكتّاب الأردنيين،عمان،الأردن.
١٠. مجموعة قصصيّة بعنوان "الضّياع في عيني رجل الجبل"،صادرة عن منظمّة كتّاب بلا حدود بدعم من مجلس الأعمال الوطنيّ العراقيّ،بغداد،العراق،٢٠١٢.

١١. روايـة" بعنـوان" أعشـقني"٢٠١٢،صـادرة عـن مؤسّسـة الـورّاق للنّشـر والتّوزيع،عمان،الأردن.
١٢. مجموعـة قصصـيّة بعنـوان"تراتيـل المـاء"٢٠١٠،صـادرة عـن وزارة الثقافـة الأردنيّة ومؤسّسة الورّاق للنّشر والتّوزيع، الأردن.
١٣. مجموعـة قصصـيّة مشـتركة مـع قاصـين عـرب بعنـوان" في العشـق" ٢٠٠٩،صادرة عن وكالة سفنكس للتّرجمة والنّشر، مصر.
١٤. مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصين أردنيين بعنوان" مختـارات مـن القصّـة الأردنيّة" ٢٠٠٨، صادرة عن وزارة الثقافة الأردنيّة، الأردن.
١٥. مجموعة قصصيّة بعنوان " رسالة إلى الإله" ٢٠٠٩، صـادرة عـن دار الآداب اللبنانية بدعم من مؤسّسة قطان.
١٦. مجموعة قصصيّة بعنوان " أرض الحكايا" ٢٠٠٦، صادرة عن نادي الجسـرة الثّقافيّ/ قطر.
١٧. مجموعة قصصيّة بعنوان " مقامات الاحـتراق" ٢٠٠٦، صـادرة عـن نـادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
١٨. مجموعة قصصيّة بعنـوان " ناسـك الصـومعة" ٢٠٠٦، صـادرة عـن نـادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
١٩. مجموعة قصصيّة بعنوان "قافلة العطش"، ٢٠٠٦، صـادرة عـن أمانـة عمـان الكبرى.
٢٠. مجموعة قصصيّة بعنوان "الكابوس" صادرة عن أمانة جائزة الشارقة للإبداع العربيّة للعام ٢٠٠٦.
٢١. مجموعة قصصيّة بعنوان" الهروب إلى آخر الدنيا" ٢٠٠٦،صـادرة عـن نـادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
٢٢. مجموعة قصصيّة بعنوان" مذكرات رضيعة" ٢٠٠٦،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.

٢٣. طبعة ثانية من رواية "السّقوط في الشمس"، ٢٠٠٦، صادرة عن دار الورّاق-عمان.
٢٤. مجموعة قصصيّة بعنوان "الجدار الزّجاجيّ" صادرة عن عمادة البحث العلميّ-الجامعة الأردنيّة،٢٠٠٥.
٢٥. رواية بعنوان "السّقوط في الشّمس"، ٢٠٠٤، صادرة عن أمانة عمان الكبرى.
٢٦. مجموعة من القصص والدّراسات والمقالات في الصّحافة الأردنيّة والعربيّة.

٥-الانتاجات الإبداعيّة للأطفال:

١. قصّة للأطفال بعنوان " زرياب: معلّم الناس والمروءة" ٢٠٠٩م،طبعة ثانية،صادرة عن وزارة الثقافة الأردنيّة/ الأردن.
٢. قصّة للأطفال بعنوان " هارون الرّشيد: الخليفة العابد المجاهد " ٢٠٠٨م،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
٣. قصّة للأطفال بعنوان " الخليل بن أحمد الفراهيدي:أبو العروض والنّحو العربيّ" ٢٠٠٨م،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
٤. قصّة للأطفال بعنوان " ابن تيمية: شيخ الإسلام ومحيي السّنّة " ٢٠٠٨م،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
٥. قصّة للأطفال بعنوان " الليث بن سعد: الإمام المتصدّق " ٢٠٠٨م،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
٦. قصّة للأطفال بعنوان " العزّ بن عبد السّلام: سلطان العلماء وبائع الملوك" ٢٠٠٧م،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
٧. قصّة للأطفال بعنوان " عبّاس بن فرناس:حكيم الأندلس" ٢٠٠٧م،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.
٨. قصّة للأطفال بعنوان " زرياب: معلّم الناس والمروءة" ٢٠٠٧م،صادرة عن نادي الجسرة الثّقافيّ/ قطر.

٩. قصّة للأطفال بعنوان " صاحب القلب الذهبي" ٢٠٠٧م، صادرة عن مؤسّسة جائزة أنجال هزّاع بن زايد آل نهيان لأدب الطفل.

التقديم لكتب وإصدارات إبداعيّة:

١. تقديم المجموعة القصصيّة "كنتُ هناك" لمجدولاين الدحيات بمقالة بعنوان:" أنا أيضاً كنتُ هناك يامجدولاين".
٢. تقديم الديوان الشّعريّ " خوابي العبير" لألبير وهبة بمقالة بعنوان :" من منهما الأجمل؟".
٣. تقديم كتاب "لقاءات تحت أشعة الحروف المشرقة "لسردار زنكنة بعنوان " رأي...قالوا"
٤. تقديم للمجموعة القصصيّة "البطاقة" لساسي حمام.
٥. تقديم كتاب أبحاث المؤتمر العلميّ التّربويّ السادس لكليّة البنات في جامعة تكريت.
٦. تقديم المجموعة القصصيّة" بنات الخائبات" لعلي السّباعيّ.
٧. تقديم المجموعة القصصيّة "نساء برائحة الياسمين" لعثمان بن حمد أبا الخيل.
٨. تقديم الدّيوان الشّعريّ "العربيّ الحرّ" لمصطفى راشد.

المشاركة في كتابة إضاءات في خلفيّة كتب وإصدارات إبداعيّة:

١. كتابة إضاءة في خلفيّة ديوان "قناديل الشّوارع" للدّكتور علي المومني.
٢. كتابة إضاءة في خلفيّة ديوان " رنيم الروح" لسعيد يعقوب.
٣. كتابة إضاءة في خلفيّة ديوان لشاكر سيفو.
٤. كتابة إضاءة في خلفيّة ديوان "مصر تتحدث" للدّكتور زين العابدين الشيخ.

مراجعة لغويّة للإصدارات التالية:

١. مراجعة لغوية لكتاب "رحلتي مع جامعة الكوفة"،أ.د .عبد الرزاق عبد الجليل العيسى،ط١،الأردن،عمان،٢٠١٥.

الدّراسات المتخصّصة عن إبداع سناء الشّعلان:

١. رسالة ماجستير بعنوان "التّخييل السّرديّ في المجموعة القصصيّة تراتيل الماء لسناء الشّعلان"،أعدّتها الباحثة هالة دوادي،بإشراف الأستاذة الدّكتورة روفيا بوغنوط،كليّة الآداب واللّغات،جامعة العربيّ بن مهيدي،أم البواقي،الجزائر٢٠١٢.

٢. رسالة ماجستير بعنوان "المتخيّل السّرديّ في رواية أعشقني لسناء الشّعلان"،أعدّتها الباحثة كريمة بعلول،بإشراف الأستاذة الدّكتورة روفيا بوغنوط،كلية الآداب واللّغات،جامعة العربيّ بن مهيدي،أم البواقي،الجزائر٢٠١٥.

٣. رسالة ماجستير بعنوان "الآنا والآخر في مسرحيّات سناء الشّعلان"،أعدّتها الباحثة بريزة سواعديه،بإشراف الدّكتور محمد زعيتري،كلية الآداب،جامعة محمد بوضياف،المسيلة،الجزائر٢٠١٥.

٤. رسالة ماجستير بعنوان "الآنا والآخر في مسرحيّات سناء الشّعلان:مسرحيّة وجه واحد لاثنين ماطرين أنموذجاً"،أعدّتها الباحثة بريزة سواعديه،بإشراف الدّكتور محمد زعيتري،كلية الآداب،جامعة محمد بوضياف، المسيلة،الجزائر٢٠١٥.

٥. رسالة ماجستير بعنوان "تشكيل الفضاء السّردي بين الذّات والآخر في رواية أعشقني لسناء شعلان"،أعدّتها الباحثة فاطمة الزّهراء بن عزوز،بإشراف الدّكتور محمد زعيتري،كلية الآداب،جامعة محمد بوضياف، المسيلة،الجزائر٢٠١٥.

٦. رسالة ماجستير بعنوان "تشكيل الفضاء السّردي بين الذّات والآخر في رواية أعشقني لسناء شعلان"،أعدّتها الباحثة فاطمة الزّهراء بن عزوز،بإشراف الدّكتور محمد زعيتري،كلية الآداب،جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر٢٠١٥.

٧. رسالة ماجستير بعنوان "التّشخيص في مسرحيّات سناء شعلان مسرحيّة دعوة على شرف اللون الأحمر أنموذجاً،أعدّتها الباحثة أسماء مزوز،بإشراف الدّكتور محمد زعيتري،كلية الآداب،جامعة محمد بوضياف،المسيلة،الجزائر٢٠١٥.

٨. رسالة ماجستير بعنوان "الرؤية السّرديّة ومكوّناتها في تجربة سناء شعلان القصصيّة"،أعدّها الباحث محمد صالح مشاعلة،بإشراف الأستاذ الدّكتور بسّام قطوس،كلية الآداب والعلوم،جامعة الشّرق الأوسط للدّراسات العليا،الأردن،٢٠١٤.

٩. رسالة ماجستير بعنوان "الشخصيّة في قصص سناء شعلان"،أعدّها الباحث ميزر علي الجبوري،بإشراف الدّكتور غنام محمد خضر،كلية التربية،جامعة تكريت،العراق،٢٠١٣.

١٠. رسالة ماجستير بعنوان "النّزوع الأسطوريّ في قصص سناء الشّعلان:دراسة نقديّة أسطورية"،أعدّتها الباحثة وناسه مسعود علي كحيلي،بإشراف الدّكتور وليد بوعديلة، قسم اللّغة العربيّة،تخصّص أدب مقارن،جامعة سكيكدة،العراق،عام ٢٠١٠.

١١. ملف كامل عن تجربة سناء الشّعلان الإبداعيّة بعنوان:"سناء شعلان حالة إبداعيّة شبابيّة تشكلّ ظاهرة استثنائيّة" في مجلّة الجسرة، العدد١٩ صيف عام ٢٠٠٧، صادر عن نادي الجسرة الثّقافيّ الاجتماعي في قطر،وشارك فيه عدد كبير من النقاد والأدباء العرب.

١٢. فصل عن تجربة سناء الشّعلان الإبداعيّة في كتاب "لقاءات تحت أشعة الحروف المشرفة" للإعلاميّ سردار زنكنة، منشورات اتّحاد أدباء كورد، فرع كركوك،العراق،٢٠١١.

١٣. تضمين نصوص سناء الشّعلان في المناهج الأكاديميّة مثل: تضمين قصتها"حليمة المجنونة" في كتاب اللّغة العربيّة مستوى١٠٠ الصّادر عن الجامعة الأردنيّة/ مركز اللّغات/ ٢٠١١.

١٤. كتاب بعنوان" فضاءات التّخييل مقاربات في التشكيل والرؤى والدّلالة والرّؤى والدّلالة في إبداع سناء الشّعلان القصصيّ:بقلم مجموعة من النّقاد،وإعداد وتقديم ومشاركة د.غنّام محمد خضر.

١٥. فصل تعريفي بسناء الشّعلان في معجم أدبيات الأردن وكاتباته،محمد المشايخ،ط١،عمان،الأردن،٢٠١٢.

١٦. فصلان نقديّان عن تجربة سناء الشّعلان القصصيّة"تراتيل الماء" والرّوائيّة "أعشقني" في كتاب شواغل سردية دراسات نقديّة في القصّة والرّواية، الأستاذ الدكتور ضياء غني العبودي،ط١،دار تموز للنّشر والتّوزيع،سوريا،دمشق،٢٠١٢.

١٧. فصل تعريفي بسناء الشّعلان في كتاب"دليل الكاتب الأردنيّ"،محمد المشايخ،ط١،عمان،الأردن.

١٨. فصل تعريفي بسناء الشّعلان في معجم الأدباء الأردنيّين،وزارة الثقافة الأردنيّة،ط١،عمان،الأردن،٢٠١٤.

١٩. عدد كبير من المقالات في المجلّات والصّحف والدوريات والمواقع الإلكترونيّة عن تجربة الشّعلان الإبداعيّة والأكاديمية.

٢٠. تقديم عدد كبير من الأبحاث الأكاديميّة في المؤتمرات العربيّة والعالميّة عن إبداع الشّعلان.مثل:

أ- قدّم الأستاذ الدكتور نور الدّين صدّار عميد كلية الآداب واللّغات في جامعة معسكر الجزائريّة بحثاً بعنوان" سيميائيّة الخطاب السّرديّ:رواية أعْشَقُني لسناء شعلان أنموذجاً،وذلك مشاركة بأعمال المؤتمر الدّوليّ" أفق الخطابات بين التحليل اللساني والتّأويل السّيميائي" الذي تحتضنه جامعة أحمد بن بلة بوهران على امتداد ثلاثة أيام ١١+١٢+١٣ من شهر تشرين الثّاني للعام ٢٠١٤.

ب- قدّم الأستاذ الدّكتور خالد اليعبودي من جامعة محمد بن عبد الله/ فاس بحثاً بعنوان"أبعاد الكون في رواية"أعشقني: لسناء الشّعلان"،وذلك مشاركة في ندوة بعنوان"الخيال العلميّ في الرّواية العربيّة" التي عُقدت في مختبر

السّرديّات في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ابن امسيك،الدّار البيضاء،المغرب،٢٣/ ١١/ ٢٠١٢.

ت- قدّم النّاقد المصريّ فرج مجاهد عبد الوهاب دراسة بعنوان "أعشقني:وتواترت أطراف المعادلة بين الفنتازيا ورسائل الحبّ والجنس" في مؤتمر القاهرة الدّوليّ السّادس للرّواية العربيّة في القاهرة،مصر،آذار عام ٢٠١٥.

ث- قدّم الناقد العراقيّ الدّكتور حسنين غازي لطيف دراسة بعنوان "المشاهد الجنسيّة والرّسائل في رواية أعشقني" في ندوة خاصّة في قسم علم النّفس في الجامعة المستنصريّة في بغداد،العراق/ أيار عام ٢٠١٥.

ج- قدّم الناقد العراقيّ الدّكتور حسنين غازي لطيف دراسة بعنوان "المرأة المقهورة في رواية أعشقني للدّكتورة سناء الشّعلان" في ندوة خاصّة في قناة المسار العراقيّة، بغداد،العراق/ حزيران عام ٢٠١٥.

٢١. عقد ملتقى عن تجربة الشّعلان الرّوائيّة في جامعة مصطفى اسطمبولي/ الجزائر تحت عنوان "الرّواية العربيّة والتّاريخ:آسيا جبّار وسناء الشّعلان"،قسم الآداب واللّغات،جامعة مصطفى اسطمبولي، الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة،١٥ مايو ٢٠١٥.

عنوان المؤلفة:د.سناء الشّعلان

الأردن – عمان – الرّمز البريدي١١٩٤٢

ص.ب ١٣١٨٦

خلوي وواتس وفايبر: ٠٠٩٦٢٧٩٥٣٣٦٦٠٩

البريد الالكتروني :

Selenapollo@hotmail.com

العنوان على الفيس بوك

Sanaa shalan